



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير سورة الفاتحة

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الفاتحه

كاتب:

سيد جعفر مرتضى عاملی

نشرت في الطباعة:

دفتر نشر الهادی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	تفسير سورة الفاتحة
١٢	اشارة
١٢	مقدمة الناشر
١٣	تقديم
١٣	تمهيد
١٣	اشارة
١٦	إلفات نظر لا بد منه:
١٦	على (ع) و تفسير سورة الفاتحة، و البسملة:
١٨	مناوئوا على عليه السلام و حساده:
١٩	تفسير قوله تعالى: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١٩	اشارة
١٩	بداية و تمهيد:
١٩	البدء باسم الله:
٢٠	النقص فى البداية و فى النهاية:
٢١	الباء للاستعانة أم للملايسة:
٢٢	لماذا التركيز على الاسم؟
٢٣	الأسماء الحسنى وسيلة الدعاء
٢٣	الله:
٢٤	الأصنام عند العرب:
٢٤	الرحمن الرحيم
٢٤	اشارة
٢٤	تحديد معنى الرحمان الرحيم:

- ٢٦ سبب اختيار هاتين الصفتين: و هنا سؤال يقول:
- ٢٧ كلمة "الرحمان" علم أم صفة؟
- ٢٨ تفسير قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
- ٢٨ اشارة
- ٢٨ الحمد لله:
- ٢٨ اشارة
- ٢٨ اختصاص الحمد بالله سبحانه:
- ٢٩ الحمد و الرحمة بداية و نهاية:
- ٣٠ له الحمد في الأولى و الآخرة:
- ٣٠ اشارة
- ٣٠ اشارة
- ٣٢ لماذا لم يقل الحمد لرب العالمين:
- ٣٢ لماذا الحمد؟!
- ٣٢ لغة القرآن في التربية العقائدية:
- ٣٣ التسبيح بحمد الله تعالى:
- ٣٣ و هنا العديد من الأسئلة:
- ٣٣ اشارة
- ٣٣ و نقول في الجواب:
- ٣٥ لماذا تسبيحة كبيرة:
- ٣٦ شمولية كلمة: رب
- ٣٦ العالمين:
- ٣٦ اشارة
- ٣٦ ما المقصود بالعالمين:
- ٣٦ اشارة

- أولا: التربية للعالمين: ٣٧
- اشارة ٣٧
- الأول: سجود المخلوقات و تسبيحها ليس تكوينيا. ٣٨
- الثاني: تكامل الإدراك و الشعور و مستواه: ٣٨
- ثانيا: العالمون خاص بالبشر: ٣٩
- اشارة ٣٩
- استدلال لا يصح: ٤٠
- ربى أم رب العالمين: ٤٠
- الكون المتوازن: ٤٠
- و لنضرب مثلا توضيحيا لما نريد تقريره هنا: ٤١
- الألوهية و الربوبية معا: ٤١
- نتائج ثلاثة: ٤٢
- تفسير قوله تعالى: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٤٣
- اشارة ٤٣
- الرحمن الرحيم: مرة اخرى: ٤٣
- النقص حقيقى و أساسى: ٤٣
- ثبات و استمرار الرحمة: ٤٤
- دوافع التربية و الرعاية: ٤٤
- تفسير قوله تعالى: مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤٤
- اشارة ٤٤
- المعاد مشكلة حقيقية للمشركين: ٤٤
- أى أنواع المالكيات لله تعالى؟ ٤٧
- و هذا القسم هو الأهم من الأقسام التى سبقته. ٤٨
- يَوْمِ الدِّينِ: ٤٩

- ٤٩ اشارة
- ٤٩ مالكية الله سبحانه للدينا:
- ٤٩ الدين هو الجزاء:
- ٥٠ يوم:
- ٥٠ مالك أو ملك:
- ٥١ الخلود في العذاب، و العدل:
- ٥١ نجيب:
- ٥١ تفسير قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
- ٥١ اشارة
- ٥١ بداية:
- ٥٢ إياك نعبد:
- ٥٢ اشارة
- ٥٢ تقديم كلمة إياك:
- ٥٣ نعبد و نستعين بصيغة الجمع:
- ٥٥ مراتب العبادة:
- ٥٥ ما المراد بالعبادة:
- ٥٦ تنوع المستحبات و كثرتها:
- ٥٦ فما هو هذا السر في هذا و ذاك يا ترى؟ و لماذا؟!:
- ٥٧ و إياك نستعين:
- ٥٧ اشارة
- ٥٧ الوعي يقتضى الاستعانة:
- ٥٧ التوحيد في العبادة و الاستعانة:
- ٥٧ جبر أم اختيار:
- ٥٧ الاستعانة، و العجب و الرياء و غيرها. و نقول أيضا:

- ٥٨ الاستعانة بغير الله سبحانه:
- ٥٩ الاستعانة بالله و الجبر الإلهي:
- ٦٠ تفسير قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
- ٦٠ اشارة
- ٦٠ اهدنا الصراط المستقيم:
- ٦٠ ارتباط الآية بما قبلها:
- ٦١ الطلب الجازم:
- ٦١ الإسلام لا يعنى عن طلب الهداية:
- ٦١ اشارة
- ٦٢ و نقول فى الجواب.
- ٦٤ أنواع الهداية و أقسامها:
- ٦٤ اشارة
- ٦٥ و نقول: إن هذا البيان غير مقبول.
- ٦٥ و توضيح ذلك:
- ٦٥ الهداية و الجبر الإلهي:
- ٦٦ إهدنا الصراط أو إلى الصراط:
- ٦٦ اشارة
- ٦٦ و الجواب:
- ٦٦ مناقشة و ردّها:
- ٦٧ الصراط المستقيم:
- ٦٧ اشارة
- ٦٧ الجواب:
- ٦٧ و ينشأ من هذا البيان سؤال.
- ٦٧ اشارة

- ٦٧ و نجيب:
- ٦٨ (ال) في الصراط للجنس أو للعهد:
- ٦٨ وصف الصراط بالمستقيم: لماذا؟!
- ٦٩ و الخطوط المتعرجة تكون:
- ٦٩ تفسير قوله تعالى: صراط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ
- ٦٩ اشارة
- ٦٩ نسبة الصراط إلى غير الله سبحانه:
- ٦٩ اشارة
- ٧٠ فهنا أسئلة ثلاثة:
- ٧٠ اشارة
- ٧٠ و نقول في الجواب عن هذه الأسئلة:
- ٧٢ النعمة و النعمة:
- ٧٢ و مع هذا، فكيف نفسر قوله تعالى:
- ٧٢ اشارة
- ٧٢ و نقول في الجواب:
- ٧٤ و إن شئت لخصت ما تقدم على الشكل التالي:
- ٧٤ من هم الذين أنعم الله عليهم:
- ٧٤ شمول الآية للنبي (ص) و الأئمة (ع):
- ٧٥ نحن و السابقون:
- ٧٥ و نقول: إننا نجمل توضيحنا في إطار النقاط التالية:
- ٧٥ غاية الأمر:
- ٧٦ ليس لله على الكافر نعمة؟:
- ٧٦ لكننا مع ذلك نقول:
- ٧٧ إعراب غير المغضوب:

- ٧٧ اشارة
- ٧٧ و نقول في الجواب:
- ٧٨ لماذا المغضوب:
- ٧٨ من هم المغضوب عليهم و الضالون:
- ٧٩ التوضيح و التطبيق:
- ٨٠ تناقض يسيء إلى المعنى:
- ٨١ و لا الضالين:
- ٨١ إمامة أبي بكر في سورة الفاتحة:
- ٨٢ كلمة أخيرة:
- ٨٢ المصادر و المراجع
- ٨٤ محتويات الكتاب
- ٨٨ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

تفسير سورة الفاتحة

إشارة

سرشناسه : عاملى، جعفر مرتضى، - ١٩٤٤
 عنوان و نام پديد آور : تفسير سورة الفاتحة / جعفر مرتضى العاملى
 مشخصات نشر : قم: دفتر نشر الهادى؛ بيروت: دار السيره، ١٤١٧ق. = ١٣٧٥.
 مشخصات ظاهرى : ص ١٦٠
 شابك : بها: ٣٥٠٠ ريال
 وضعيت فهرست نويسى : فهرست نويسى قبلى
 يادداشت : عربى
 يادداشت : كتابنامه: ص. ١٥٦ - ١٥٣؛ همچنين به صورت زير نويس
 موضوع : تفاسير (سوره فاتحه)
 رده بندى كنگره : ١٠٢/١٢ BP / ٢٤ ت ١٣٧٥
 رده بندى ديويى : ٢٩٧/١٨
 شماره كتابشناسى ملي : م ٧٥-١٠٤٠٥

مقدمه الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 و الحمد لله حمدا كثيرا و سبحان الله بكرة و أصيلا، و الصلاة و السلام على رسوله الذى أرسله بالحق شاهدا و مبشرا و نذيرا، و هاديا
 بإذنه و سراجا منيرا، و على آله الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.
 أما بعد ..

فها نحن نقدم للقارئ العزيز، الطبعة الثانية البيروتية من «تفسير سورة الفاتحة» بعد طبعته الأولى فى مدينة قم المقدسة، و التى بات من
 الواضح أنها عبارة عن دروس يقدمها سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى (دام ظله) فى درسه التفسيري الأسبوعي.
 و تفسير هذه السورة هى أول إصدارات هذه السلسلة، لكن لما كانت الطبعة الأولى قد صدرت فى قم المقدسة، و حيث أن المركز
 الإسلامى للدراسات قد ارتأى نشر جميع هذه السلسلة فى بيروت، فقد بات من الضرورى إعادة طبع هذا الكتاب فى بيروت أيضا
 ليتسنى للقارئ العزيز الحصول عليها، لا سيما و أن
 تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨

العلامة المحقق يحيل فى بعض الأحيان إلى ما ذكره فى تفسير هذه السورة.
 هذا و لا بد من الإشارة إلى أن المركز الإسلامى للدراسات، قام و بالتنسيق مع سماحته (حفظه المولى) بإجراء بعض الإضافات
 الضرورية التى كان لا بد منها فى بعض الموارد لزيادة البيان و إيضاح المقصود.
 فضلا عن القيام بتصحيح ما كانت قد عانت منه الطبعة الأولى من أخطاء.

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يتولانا بلطفه و يوفقنا لما يحب و يرضى، إنه نعم المولى و نعم النصير.

المركز الإسلامى للدراسات

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين، و بعد.
فهذه دروس حول آيات سورة الفاتحة خصصت لبعض الاخوة الأعزاء من شباننا الأكارم في بلدة عدشيت. و قد استخرجها- مشكورا-
الأخ و فيق سعد من أشرطة التسجيل، و بذل في سبيل ذلك جهدا و وقتا، على أمل أن يتم تكثيرها، و توزيعها على بعض الاخوة
الراغبين.

ثم تأكدت الرغبة في نشرها، فلحقها بعض الإصلاحات لعباراتها، و التنظيم لفقراتها، الذي يؤهلها لأن تكون مفهومة لمن يريد الإطلاع
عليها.

و نريد أن نذكر القارئ الكريم هنا بأننا لم نستفد من كتب التفسير كثيرا. بل إن مراجعتنا لها تكاد لا تستحق التنويه بها؛

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠

و لأجل ذلك فإن القارئ لن يستفيد كثيرا من هذه الدروس، إذا كان يرغب في الإطلاع على أقوال المفسرين، و على الأمور التي
اعتادوا التركيز عليها، و الإهتمام بها.

و بعد، فإنني لا أستطيع أن أطلق على هذه الدروس اسم (تفسير). و إنما هي مجرد مشاعر و خواطر، يمكن تلمس مناشئها و تداعياتها
في دلالات سورة الفاتحة، التي هي أم الكتاب العزيز، و السبع المثاني.

و أرجو أن أكون قد وفقت في هذه المحاولة، التي سوف يلمس فيها القارئ الكريم إصرارا على الإلتزام بالأجواء القرآنية، و عدم
الإنسياق، في رحاب المعاني إلى درجة تجاوز حدود المدليل و الإيحاءات للآيات الكريمة. كما قد يحدث أو حدث ذلك بالفعل
لبعض من تصدى لتفسير القرآن الكريم، أو لتفسير بعض سوره.

و مهما يكن من أمر، فعلى الأقل لا- يمكن أن يعتبر هذا الإنجاز هو النموذج الأفضل للتفسير. فقد يحتاج إلى الكثير من التقليم و
التطعيم. و قد نستفيد كثيرا من ملاحظات الاخوة الأعزاء حفظهم الله تعالى، و نحن لهم سلفا من الشاكرين.
وفقنا الله جميعا لصواب القول، و صلاح الفعل، و خلوص القصد.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١

و الحمد لله، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطاهرين.

جعفر مرتضى العاملی

٢٠ شهر رمضان المبارك ١٥١٦ هـ. ق.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣

تمهيد

إشارة

أحببت هذه المرة أن أخالف المؤلف، و أتمرد على ما هو معروف، حيث إنني لا أريد أن أكتب في هذا التمهيد شيئا من عند نفسي،
بل أريد فقط أن أورد بضع روايات عن أهل بيت العصمة توضح لنا التفسير، و شرائطه، و مناهجه.

و الذي زاد من رغبتى في ذلك هو أنني لم أر أحدا من المفسرين حاول أن يركز اهتمامه على هذه الروايات، رغم أنها من الأهمية

بمكان.

وهذه الروايات التي اخترتها هي التالية:

١- روى عن الإمام الصادق، وكذا عن الإمام الحسين عليهما السلام: أنه قال:

(كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء) «١».

(١) راجع: بحار الانوار: ج ٨٩ ص ١٠٣ و ٢٠ و ج ٧٥ ص ٢٧٨ عن كتاب الأربعين، وعن الدرّة الباهرة و أعلام الدين ص ٣٠٣ و جامع

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤

٢- لقد أوضح أهل بيت العصمة: أن على المفسر أن يبحث عن معنى الكلمات والتراكيب في الاستعمالات المتداولة بين الناس من مختلف الفئات والقبائل، ليعثر على القاسم المشترك الذي يمكن للجميع من خلاله أن يتلمسوا المعنى المراد، لأن الاقتصار على لغة فريق معين، أو قبيلة بعينها، ربما لا يكون مجدياً أن لم يكن سبباً في الإبتعاد عن المعنى الحقيقي والمراد أحياناً. والمثال الذي نوردته هنا: هو أنه قد روى أن بعضهم كان في مجلس الإمام السجاد عليه السلام، فقال له: يا ابن رسول الله، كيف يعاقب الله ويوبخ هؤلاء الأجلاف على قبائح أتى بها أسلافهم، وهو يقول: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى «٢»؟! فقال عليه السلام: (إن القرآن نزل بلغة العرب، فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، يقول الرجل التميمي - قد أغار قومه على بلد، و قتلوا من فيه: أغرتم على بلد كذا، و فعلتم كذا ..

الاخبار والآثار للأبطحي ج ١ ص ٤٥١ عنه و عن زهة الناظر ص ١١٠ و عن كتاب الأربعين في قضاء حقوق أمير المؤمنين و راجع: جامع الاخبار ص ٤٨ / ٤٩.

(٢) سورة الأنعام آية ١٦٤. الاسراء، آية ١٥. فاطر آية ١٨. الزمر آية ٧.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥

و يقول العربي: نحن فعلنا بيني فلان، و نحن سبينا آل فلان، و نحن خربنا بلد كذا.

لا يريد أنهم باشروا ذلك. و لكن يريد هؤلاء بالعدل، و أولئك بالامتحان (الافتخار) أن قومهم فعلوا كذا.

و قول الله عز و جل في هذه الآيات إنما هو توبيخ لأسلافهم، و توبيخ العدل على هؤلاء الموجودين، لأن ذلك هو اللغة التي نزل بها القرآن، و لأن هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم، مصوبون ذلك لهم؛ فجاز أن يقال لهم: أنتم فعلتم، إذ رضيتم قبيح فعلهم) «٣».

و عن الصادق عليه السلام: نزل القرآن بإياك أعنى و اسمعى يا جارة «٤».

٣- قد أشاروا عليهم السلام إلى ضرورة معرفته خصوصيات كل لفظ، و سر اختياره لموقعه دون سواه، فقد روى:

أنه لما نزل قوله تعالى: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(٣) الاحتجاج ج ٢ ص ١٣٨ ط سنة ١٤١٣ هـ. و تفسير الامام العسكري ص ٢٧٠ و البحار ج ٤٥ ص ٢٩٦.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٣١ و تفسير العياشي ج ١ ص ١٠ و نور الثقلين ج ٣ ص ١٩٨ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٨٤ و ج ١ ص ٢٢ و

تفسير القمي ج ١ ص ١٦ و البحار ج ٨٩ ص ٣٨٢ و ج ٩ ص ٢٢٢ و ج ١٧ ص ٨٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦

حَصَّبُ جَهَنَّمَ «٥» قال ابن الزبيري: فنحن نعبد الملائكة، و اليهود تعبد عزيزا، و النصارى تعبد عيسى (عليه السلام).

فأخبر النبي (ص) فقال: يا ويل أمه! أما علم أن (ما) لما لا يعقل، و (من) لمن يعقل الخ «٦».

و حينما سأل بعضهم الإمام الصادق - أو الباقر - عليهما السلام عن المسح في الوضوء، فقال له: من أين علمت أن المسح ببعض الرأس؟! و بعض الرجلين؟! قال عليه السلام: لمكان الباء «٧».

أى فى قوله تعالى:

وَأَمْسُحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ «٨».

٤- إن الطهارة من الذنوب أيضا تعين على فهم القرآن؛ ففي دعاء ختم القرآن المروى عن السجاد عليه السلام:

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.

(٦) راجع: الكنى و الالقاب ج ١ ص ٢٩٤.

(٧) راجع: تفسير العياشى ج ١ ص ٢٩٩ و تفسير البرهان ج ١ ص ٤٥٣ و ٤٥١ و دعائم الاسلام ج ١ ص ١٠٩ و مستدرك الوسائل ج

١ ص ٣١٤ و ٣١٦ و الوسائل ط مؤسسة آل البيت ج ١ ص ٤١٣ و ج ٣ ص ٣٦٤ و الاستبصار ج ١ ص ٦٣ و تهذيب الأحكام ج ١ ص

٦١ و الكافى ج ٣ ص ٣٠ و علل الشرائع ج ١ ص ٢٧٩.

(٨) سورة المائدة الآية ٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧

(و اجعل القرآن لنا فى ظلم الليالى مؤنسا. و من نزعات الشيطان، و خطرات الوسواس حارسا. و لأقدامنا عن نقلها إلى المعاصى حابسا.

و لألسنتنا عن الخوض فى الباطل من غير ما آفه مخرسا.

و لجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا).

و لما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشرا. حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، و زواجر أمثاله الخ ..) «٩».

٥- و ثمة رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يذم فيها الغاصبين، ذكر فيها (ع) أصول التفسير، و شروطه التى لا بد من الوقوف

عندها، و الانتهاء إليها، و الانطلاق منها. و هى رواية مهمة جدا، نذكر إحدى فقراتها، و هى التالية:

روى عن الإمام الصادق عليه السلام: أنه قال فى جملة حديث له:

(و ذلك أنهم ضربوا بعض القرآن ببعض، و احتجوا بالمنسوخ، و هم يظنون أنه الناسخ، و احتجوا بالمتشابه، و هم يرونه أنه المحكم،

و احتجوا بالخاص و هم يقدرون أنه العام، و احتجوا بأول الآية، و تركوا السبب فى تأويلها، و لم ينظروا إلى ما يفتح الكلام و الى ما

يختمه، و لم يعرفوا موارده و مصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلوا و أضلوا.

(٩) الصحيفة السجادية، الدعاء عند ختم القرآن ص ١٣٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨

و اعلموا رحمكم الله أنه من لم يعرف من كتاب الله عز و جل الناسخ من المنسوخ، و الخاص من العام و المحكم من المتشابه، و

الرخص من العزائم و المكى من المدنى، و أسباب التنزيل، و المبهم من القرآن فى ألفاظه المنقطعة و المؤلفه، و ما فيه من علم القضاء

و القدر، و التقديم و التأخير، و المبين و العميق، و الظاهر و الباطن و الابتداء و الانتهاء، و السؤال و الجواب، و القطع و الوصل، و

المستثنى منه و الجارى فيه، و الصفة لما قبل مما يدل على ما بعد، و المؤكد منه، و المفصل، و عزائمه و رخصه، و مواضع فرائضه و

أحكامه ومعنى حاله و حرامه الذى هلك فيه الملحدون، و الموصول من الألفاظ، و المحمول على ما قبله، و على ما بعده، فليس بعالم بالقرآن، و لا هو من أهله، و متى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل، فهو كاذب مرتاب، مفتر على الله الكذب و رسوله، و مأواه جهنم و بثس المصير) «١٠».

هذه هى الروايات التى أحببت أن أقدمها أمام تفسير سورة الفاتحة، (إن صح إطلاق اسم التفسير على هذه المطالب). و لا أريد أن أضيف عليها شيئاً.

(١٠) بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٣ و ٤ و وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٢٠٠ و ٢٠١ و جامع الاخبار و الآثار للأبطنى ج ١ ص ٥٣١ / ٥٣٢. تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩

إفادات نظر لا بد منه:

إننا نذكر القارئ الكريم بالأمر التالى:

الأول: إن مراجعتنا لكتب اللغة أحيانا، إنما كانت من أجل الاطلاع على موارد استعمال الألفاظ أو التراكيب، و ذلك للتعرف على آفاق المعنى و حدوده، و إلماحته، و إشارات، و إيحاءاته.

لأن ذلك مهم جدا فى نيل المعانى القرآنية، و تحديد مدلولات مفرداتها، و تراكيبها على حد سواء.

هذا .. إلى جانب لزوم ملاحظة الاستعمالات القرآنية، و التوفر التام على مناحى و جهات الاستعمالات فيه للفظ، أو للتركيب الذى هو محط النظر، بهدف اكتشاف الحدود و القيود أو حتى المنحى القرآنى الخاص، بما له من مزايا و حالات، قد تختلف فى مراميها و مغازيها عن غيرها مما هو معروف و مألوف، و متداول.

الثانى: إننا قد حاولنا: أن نقوم ببعض المقارنات فيما بين البدائل اللفظية، التى يمكن اقتراحها، أو الإلتجاء إليها، ثم تحديد الفوارق التى يمكن تلمسها بين اللفظ المختار، و بين اللفظ الآخر، الذى يفترض كونه بديلا.

و قد شعرنا من خلال ذلك: أن هذه المحاولة تسهم فى وضوح و تحديد المعنى القرآنى بصورة ظاهرة، من حيث أنها تساعد على اكتشاف الخصوصيات التى لها مساس بالمعنى المدلول، و تؤثر

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠

فى معرفة حدوده و آفاقه. بل و قد تساعد على تحديد مناشئه و غاياته. هذا ان لم تكن قد ساعدت على إنتاج معان جديدة من خلال إيحاءاتها المختلفة، و دلالاتها، التى تستند الى وسائل تعبيرية لم يسبق أن خضعت للتحديد فى معاجم اللغة، و لا فى علومها المتداولة ..

الثالث: إننا نتمنى على القارئ الكريم أن يتابع فصول الحديث عن سورة الفاتحة الى نهايته، لأن هذه السورة المباركة كل لا يتجزأ، يسهم آخره فى فهم أوله، و أوله يساعد على فهمه و استكناه حقيقة المراد من آخره.

فقد حددت هذه السورة المباركة كل الملامح لحياء هذا الإنسان بكل فصولها و أبعادها، من البداية الى النهاية، و أختصرت كل الخطأ الإلهية فى هدايته لهذا الإنسان ليقوم بدوره على النحو الأكمل و الأمثل و الأفضل فى هذا العالم العتيد ..

على (ع) و تفسير سورة الفاتحة، و البسملة:

عن على عليه السلام: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا فى تفسير فاتحة الكتاب «١١».

(١١) التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٨٣ و بحار الانوار ج ٨٩ ص ١٠٣ و ٩٣ عن اسرار الصلاة، و مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٥٣ و تفسير البرهان ج ١ ص ٣ و ينابيع المودة ص ٦٥ و جامع الاخبار و الآثار للأبطحي ج ٢ ص ٤٨ و احقاق الحق (الملحقات) تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١

و عنه عليه السلام: لو شئت لأوقرت بعيرا من تفسير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «١٢».
و في حديث آخر عنه: لو شئت لأوقرت أربعين بعيرا من شرح: بِسْمِ اللَّهِ «١٣»
و في نص ثالث عنه عليه السلام: (لو شئت لأوقرت ثمانين بعيرا من معنى الباء «١٤».

ج ٧ ص ٥٩٤ كلاهما عن: اسرار الصلاة ص ١٣٨ و عن شرح ديوان أمير المؤمنين ص ١٥ مخطوط. و شرح عين العلم و زين الحلم ص ٩١ و الروض الازهر ص ٣٣ و جالية الكدر ص ٤٠ و تاريخ آل محمد ص ١٥٠.
(١٢) احقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٥٩٥ عن ابن طلحة في مطالب السؤل ص ٢٦. و راجع: كشف الغمة ج ١ ص ١٣٠ و التفسير الكبير للرازي ج ١ ص ١٠٦ و مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٣١ و ٣١٦.
(١٣) بحار الانوار ج ٤٠ ص ١٨٦ عن مشارق أنوار اليقين
(١٤) مستدرک سفينة البحار: ج ١ ص ٢٣١ و احقاق الحق: ج ٧ ص ٥٩٥ عن الشعراني في لطائف المنن ج ١ ص ١٧١. و راجع: جامع الاخبار و الآثار للأبطحي ج ٢ ص ٤٨.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٢

و عن ابن عباس قال: (يشرح لنا على (ع) نقطة الباء من بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "ليلة؛ فانطلق عمود الصبح، و هو بعد لم يفرغ) «١٥».
و نقول:

- ١- انه قد لا يكون ثمه منافاة بين البعير الواحد، و الأربعين و الثمانين بعيرا؛ إذا كان (ع) قد قال ذلك في مجالس و مناسبات مختلفة، اقتضت كل مناسبة منها أن يشير الى مستوى معين من المعاني و المعارف بل و حتى في مجلس واحد، فإن ذكر الأقل لا ينلغى ذكر الأكثر و لا يناقضه. فهو لو شاء لأوقر بعيرا، و لو شاء لأوقر أكثر من ذلك الى أربعين. بل لو شاء لأوقر ثمانين أيضا.
- ٢- إن سعة علم على عليه السلام و غزارته مما لا يختلف فيه اثنان. و قد أثبت عليه السلام عملا ما يقرب إلى الأذهان معقولية تلك الأقوال و واقعيتها.
- ٣- إنه عليه السلام بقوله هذا يريد أن يفتح الآفاق الرحبة أمام فكر الإنسان لينطلق فيها، و يكتشف أسرار الكون و الحياة، و يتعامل معها من موقع العلم و المعرفة و يقود مسيرة الحياة فيها من موقع الطموح و الهيمنة الواعية و المسؤولة.
- ٤- إن هذه الأرقام ليست خيالية بالنسبة لسورة الفاتحة، التي هي أم القرآن، و هي السبع المثاني التي جعلت عدلا للقرآن

(١٥) مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٣١.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٣

العظيم في قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ «١٦» كما روى «١٧».

كما أن ذلك ليس بعيدا عن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أعظم آية في كتاب الله العزيز. كما روى عن الإمامين الصادق و أبي الحسن الكاظم عليهما السلام «١٨».

٥- أما بالنسبة لحديث نقطة الباء فلا ندرى مدى صحته، بعد أن كان المؤرخون يذكرون أن تنقيط الحروف قد تأخر عن عهد على عليه السلام بعدة عقود من الزمن. إلا أن يكون ثمه نقط لبعض الحروف في أول الأمر، ثم استوفى النقط لسائرهما بعد ذلك.

(١٦) سورة الحجر آية ٨٧.

(١٧) تفسير البرهان ج ١ ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و غرائب القرآن (بهلمش جامع البيان) ج ١ ص ٢٨ و تفسير العياشي ج ١ ص ٢١.

(١٨) راجع: البحار ج ٨٢ ص ٢١ و ج ٨٩ ص ٢٣٨ عن العياشي ج ١ ص ٢٢ و ٢١ و مجمع البيان ج ١ ص ١٩. و تفسير البرهان ج ١ ص ٤٢ و التفسير الكبير ج ١ ص ٢٠٤ و مستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٦٦ و ١٦٧ و جامع الاخبار و الآثار ج ٢ ص ٦٢ و ٦١ و ٦٣ عن من تقدم و عن مواهب الرحمان ص ٢١.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٤

مناوئوا على عليه السلام و حساده:

و حين رأى حساد على عليه السلام و مناوئوه المتسترون:

أن عليا عليه السلام قد ذهب بها فخرا و مجدا و سؤددا في جميع المواقع، و في مختلف الجهات انبروا ليدعوا لأنفسهم ما هو أعظم من على و من علم على عليه السلام. رغم أن كل أحد يعرف مبلغهم من العلم. و يعرف نوع و مستوى ما يتداولونه من أمور عادية و مبتدلة، أطلقوا عليها اسم العلم، و هي أبعد ما يكون عنه.

و ذلك بسبب ما فيها من شوائب، و أباطيل ما أنزل الله بها من سلطان.

فلنقرأ ما يقوله هؤلاء عن أنفسهم في انتفاخات و ادعاءات استعراضية خاوية.

فقد ادعى أعظم مفسريهم الفخر الرازي: أنه يمكن أن يستنبط من فوائد سورة الفاتحة عشرة آلاف مسألة «١٩».

كما و يدعون أن أبا بكر ابن العربي قد استنبط من القرآن بضعا و سبعين ألف علم «٢٠».

(١٩) التفسير الكبير ج ١ ص ٥ و التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٨٣ عنه.

(٢٠) التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٨٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٥

أما البكرى، فقد تكلم عن بعض علوم البسملة في سنين بكرة كل يوم في الأشهر الثلاثة منها. و قال في بعض مجالسه: لو أردت التكلم على ذلك العمر كله لم يف، أو كما قال «٢١».

بل إن البكرى قد تكلم في نقطة البسملة في ألفى مجلس و مائتى مجلس «٢٢».

و نقول:

حدث العاقل بما لا يليق له، فإن لاق له فلا عقل له:

و نحن لا- ندرى كيف لم تظهر فرق و مذاهب من الغلاة في البكرى يقصدونه، بل و يؤلهونه، كما غلا- بعض الناس في على عليه السلام حتى ألهوه!!

و لا ندرى أيضا كيف ضاعت تلك العلوم التي نشرها البكرى في محاضراته تلك؟! و كيف لم يحفظها تلاميذه و ينشروها في سائر الأقطار و الأمصار، ليستفيد منها الناس، في أمور معاشهم و معادهم!!

و ليت الناس قد نقلوا لنا و لو أسماء و همة للعلوم التي استنبطها أبو بكر ابن العربي من القرآن. و تلك هي مؤلفات هذا الرجل متداولة بين الناس، و لا نجد فيها أى رائحة لهذه العلوم. بل

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٨٤.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٦

لا نجد فيها أى تميز لها عما سواها من مؤلفات أقرانه، و من هم على شاكلته، إن لم نقل: إن الآخرين أكثر براعة منه، و أدق نظرا.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٧

تفسير قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٩

بداية و تمهيد:

قد عرفنا: أن البسملة هي أعظم آية في القرآن الكريم، و عرفنا ما نقل عن على أمير المؤمنين عليه السلام حول تفسيرها، و ما يمكن أن يقدمه للأمة من شرح قد تنامي و اتسع حتى يمكن كتابة الأسفار التي تنوء بحملها العشرات من وسائل الحمل التي كانت متوفرة آنئذ.

و قد تحدث المفسرون عن أمور كثيرة و متنوعة حول الآية الكريمة التي نرددها عشرات المرات يوميا، وفقا لما ورد عن الشرع الشريف في ذلك، و أكثر ما ذكروه يدخل في السياق اللغوي و التركيبي و طبيعته و مناشئه و غير ذلك.

و نحن هنا نحيل القارئ على ما كتبه، إن أحب الإطلاع عليه، أما نحن فنتجه إلى منحى آخر فيما نريد أن نثيره من دلالات و إيماءات هذه الآية المباركة.

ف نقول:

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٠

البدء باسم الله:

لقد ورد في الحديث الشريف، عن على عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، أنه قال: كل أمر ذى بال لم يذكر فيه «اسم الله» أو «بسم الله» فهو أبتى «٢٣».

و في حديث آخر: كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أبتى «٢٤».

و عن أبى هريرة عنه (ص): كل كلام أو أمر ذى بال لا يفتح بذكر الله عز و جل فهو أبتى. أو قال: أقطع «٢٥».

و السؤال هنا هو: لماذا يطلب منا أن ننظر إلى البسملة، أو فقل: أن نتعامل مع بسم الله الرحمن الرحيم، على أنها جزء من كل أمر ذى بال (أى شأن)؟.

ثم ما هي المعانى التي يريد الله أن يلقننا إياها من خلال التركيز على البسملة، و يطلب منا أن نعيشها الى درجة أن تصبح جزءا من حياتنا و ممارساتنا؟

(٢٤) التفسير الكبير للرازي ج ١ ص ٢١٣ و جامع الأخبار و الآثار ج ٢ ص ٦٦ عنه.

(٢٥) مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٥٩.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣١

إن مما لا شك فيه أن ثمة معان جميلة و مميزة و لطائف و معارف فى بسم الله الرحمن الرحيم، يريد تعالى منا أن ندرکها بعمق، و أن نتفاعل معها بوعى و مسؤولية، فما هى تلك المعانى؟، و هل يمكننا نیلها أو نیل بعضها و لو بدرجة متواضعة؟.

إننا قبل كل شئ نشير الى ما ذكره العلامة الطباطبائي رحمه الله من أن الناس ربما يبدءون فى عمل، أو يحققون إنجازا فيقرنونه باسم عزيز على قلوبهم، أو كبير من كبرائهم، ليكتسب عملهم بذلك شرفا، أو بركة، أو ليخلدوا اسم ذلك العزيز، أو الكبير و يبقى بقاء ذلك العمل. و من هنا نجدهم يسمون انسانا أو مؤسسه، أو غير ذلك بإسم من يحبونه، أو يعظمونه ليبقى الاسم ببقاء المسمى الجديد. لأن بقاء المسمى - و الحالة هذه - نوع بقاء للاسم ثم لصاحب الاسم الحقيقى، و من هذا القبيل من يسمى ولده باسم والده تكريما لذلك الوالد «٢٦».

و نقول:

إننا لا نكر: أن الأمر ينتهى إلى التشريف، و التكریم و البركة. و لكن الأمر بالنسبة لإعتبار البسملة جزءا من كل أمر لا يقتصر على هذه الاعتبارات التى يتعامل معها الناس بالطريقة

(٢٦) تفسير الميزان ج ١ تفسير البسملة.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٢

العامية و السطحية، بل هو يتجاوزها ليكون على مستوى الطريقة الإلهية، التى تمثل العمق و الأصالة و الدقة. و ذلك لأن كلامنا يريد البركة و يتطلبها. و هى تعنى الزيادة و النمو و التكامل المعنوى و المادى. و لكننا حين نجد أنهم عليهم السلام قد طلبوا منا أن لا ندع البسملة فى أى شئ صغيرا كان أو كبيرا «٢٧»، و بدونها سيكون مبتورا و ناقصا. فإن ذلك يعنى أن الأمر ليس مجرد بركة و شرف و تکریم، بل هو أكبر من ذلك و أهم. و يلفت نظرنا هنا قوله (ص "): لا يبدأ فيه " و لم يقل: ليس معه، أو: لم يسبقه.

النقص فى البداية و فى النهاية:

و لا- بد أيضا من التوقف و التأمل فى هذا التقابل الذى يقرره هذا الحديث؛ حيث فرض أن البدء من جهة هو نفسه الذى يوجب النقص أو الكمال فى الجهة المقابلة.

مع أنك إذا قلت: إذا لم تفعل الأمر الفلانى، فان عملك سيكون ناقصا، فان نقصه إنما يكون من جهة نفس عدم فعلك للأمر الفلانى المشار إليه آنفا. و لكن الأمر هنا ليس كذلك، فإن النقص للبسملة إنما جاء فى جهة أول الفعل، و البتر و النقص قد

(٢٧) راجع: البرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٤٥-٤٦ و تفسير الإمام العسکرى (ع) ص ٢٢ و البحار ج ٨٩ ص ٢٤٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٣

جاء فى آخره؛ لأن المبتور هو مقطوع الآخر أو الذنب، و الأقطع هو مبتور اليد.

و نقول:

إن نقصان آخره إنما هو من حيث إنقطاعه عن البقاء و الدوام، فهو أبترا لانقطاع آخره.

و لعلنا نستطيع أن نفهم ميرر هذا الأمر في ذكر مثال تقريبي هو:

إن الله تعالى يقول: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ «٢٨». وقال تعالى: فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ «٢٩».

فقد يقول قائل: ان المراد بوجه الله هو الله تعالى نفسه، فكأنه قال: و يبقى الله ذو الجلال و الإكرام. و كأنه قال: أينما تولوا فثم الله تعالى نفسه.

و لكن هذا التفسير يبقى غير كاف و لا واف بالمقصود.

و ذلك للأمور التالية:

(٢٨) سورة الرحمن الآيتان ٢٦ و ٢٧.

(٢٩) سورة البقرة آية ١١٥.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٤

١- إنه لا مجال لأن يضاف الشيء إلى نفسه. فالإضافة و النسبة دليل المغايرة بين المضاف و المنسوب و هو "وجه" و بين المنسوب و المضاف إليه، و هو "الله".

٢- هذا، بالإضافة إلى ما ورد من أن أهل البيت عليهم السلام هم وجه الله، فهل يعنى ذلك أنهم عليهم السلام هم الذات الإلهية نفسها؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٣- و إذا كان كل شيء هالك إلا نفس الذات الإلهية، فعلى الإسلام، و كل أعمال الخير و البر و الصلاح السلام، لأنها كلها أيضا أشياء، فهل هي هالكة أيضا؟

٤- قال تعالى: مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ «٣٠» و لا معنى لفناء كل شيء مع بقاء الأشياء التي عند الله أيضا.

و التفسير الصحيح لهذه الآية، و لايتى سورة الرحمان و البقرة هو أن كل شيء من حيث الوجود المادى يفنى، و لكنه من حيث الوجود المعنوى باق، إذا كانت وجهته إلى الله سبحانه، لأن نسبته إليه، و كونه باتجاهه تعالى تكسبه حالة من نوع ما تجعله يبقى و يستمر بسببها، و يشهد لذلك آيات و أحاديث كثيرة. فلنقرأ قوله تعالى: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

(٣٠) سورة النحل الآية ٩٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٥

مَثُورًا «٣١». إذ لو كان لوجه الله لما جعله كذلك. و قوله تعالى:

أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ، يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ، فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ «٣٢».

إذن، فكل شيء وجهته إلى الله سبحانه يكون فيه جهة بقاء، و دوام، و خلود. و الذى لا يكون كذلك فهو هباء منثور، كسراب بقیعة، أبت.

و كمثل على ما نقول: إذا تبرع أحدهم بمبلغ من المال لغير وجه الله. فمن جهة الحدوث لا شك فى أن ذلك قد حدث. و لكن من جهة البقاء فليس ثمة ما يوجب بقاءه؛ لأنه يفقد عنصر البقاء.

و ذلك مثل العدالة التي هي شرط في إمام الجماعة. و لكن مجرد حدوثها فيه لا يكفي بل لا بد من بقاء تلك العدالة و استمرارها، بحيث لو فسق في آخر جزء من الصلاة، فان الصلاة تبطل بجميع أجزائها.

الباء للاستعانة أم للملابسة:

و عن سؤال: هل الباء للمصاحبة؟ أم للاستعانة، أم للتعدية، أم لمجرد الملايسة؟ أم لغير ذلك؟

(٣١) سورة الفرقان آية ٢٣.

(٣٢) سورة النور آية ٣٩.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٦

نجيب: أن بعض المفسرين رجحوا أنها للاستعانة، وذلك لأن الإنسان مفتقر بذاته، محتاج إلى الغنى بذاته. ونحن نرجح أنها للملايسة، وذلك لأننا إذا رجعنا إلى حديث: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتري، فإننا ندرک: أن الباء ليست للمصاحبة، أو الاستعانة، أو لغير ذلك وإنما هي لمجرد الملايسة، لأن قوله: لا يبدأ فيه، إنما يعنى أن البسملة جزء من الأمر الذى نعمله، وإلا لكان اللازم أن يقال: كل أمر ذي بال لا يستعان فيه أو لا تصاحبه. و جزئية البسملة هذه لا تتلاءم إلا مع كون الباء لمجرد الملايسة.

لماذا التركيز على الاسم؟

و من الملاحظ: أن الحديث هنا قد جاء عن الاسم. و أيضا: ان الآيات القرآنية، تهتم بالاسم و تسلط الضوء على الأسماء، باستثناء البعض من تلك الآيات التى تعدت ذلك إلى الحديث عن الذات الإلهية المقدسة. فقرأ مثلا قوله تعالى: **أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ «٣٣» وَ فَسَّخَّ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ «٣٤»**

(٣٣) سورة العلق الآية ١.

(٣٤) سورة الواقعة الآية ٧٤.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٧

و وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا «٣٥».

فلماذا هذا التركيز و الاهتمام بالاسم و الأسماء؟

و نجيب بسؤال: هل نحن قادرون- بالنسبة للذات الإلهية- على استكناه حقيقة المسمى و تصوره؟

بل هل نستطيع: أن نتصور كنه أسمائه تعالى، فضلا عن المسمى؟

الجواب: طبعا، لا.

ان غاية ما نتصوره هو الحد الأدنى و الجانب الميسور و القريب من الاسم و القادر على أن يشير إلى المسمى إشارة خفيفة و بسيطة تكفى لأن تجعلنا نتضرع إلى الله به، لأنه يعطينا هذا المستوى من الإدراك. و هو سبحانه يقبل ذلك منا: لأننا غير قادرين على أكثر منه. و قد أمرنا بالابتعاد عن التعمق فى التفكير فى ذات الله سبحانه «٣٦» لأنه أمر فوق العقل.

و هكذا يتضح: أنه لا مبرر لما يقوله بعضهم من أن الاسم هو عين المسمى، و كذلك العكس .. و يزيد من وضوح عدم صحة ذلك أنه لا ينسجم مع قوله تعالى: **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**

(٣٥) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

(٣٦) راجع البحار ج ٢ ص ٢٥٩.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٨

فَادْعُوهُ بِهَا (٣٧) حيث جعل الله الأسماء الحسنى وسيلة إلى نداءه تعالى - ان كان المعنى: نادوه بها- أو وسيلة للتوصل إلى نيل رضا سبحانه، فلو كان الاسم عين المسمى لم يصح الأمر بدعاء الله بها، و لم يصح إضافتها و نسبتها إليه تعالى.

الأسماء الحسنى وسيلة الدعاء

أما لماذا طلب منا سبحانه أن نجعل أسماءه الحسنى وسيلة دعائنا له؟ أو لماذا طلب منا أن ننادى الله بواسطة أسمائه الحسنى؟ كقولك خاطب زيدا باسمه، مقابل خطابه بلقبه مثلا. فلأن الاسم قد وضع لمعان حسيه، أو قريبه من الحس. أريد منها هنا أن تعبر عن معان راقية و عالية، و بمقدار ما تترقى مدارك و استعدادات البشر و تنامي، فان ذلك يؤثر على مستوى و درجات فهمهم و نيلهم لتلك المعانى السامية، و تتفاوت درجات انكشافها لهم. فإذا سمعنا كلمة رؤوف، رحيم، كريم، قوى، الخ .. مضافة إلى الذات الإلهية فإن كلامنا يفهم درجة من تلك الرأفة و الرحمة و .. أما حقيقة رحمته تعالى و كرمه و قوته، فلا يمكن لنا إدراكها ..

(٣٧) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٣٩

و من جهة أخرى: إننا نتعامل مع هذه الأسماء من خلال مزيج من الإدراكات العقلية، و الفطرية، مع الأحاسيس و المشاعر الفطرية و الوجدانية. فهي ليست أسماء ذات طابع عقلى فلسفى محض .. فصفت العزيز الجبار، الرحيم الشافى، التواب، الحنان الخ .. هى أسماء تحاكي الفطرة و تناجيها، و تناغيها، و تلامس الضمير و الوجدان، و تثيره، و تشعر من خلالها بأنك قريب من الله، مع انك لا تستطيع أن تدرك نفس الذات. و من هنا نعرف السر فى أنه تعالى قد أمرنا أن ندعوه بواسطة تلك الأسماء، و أن نجعلها و سيلتنا فى الدعاء، لأننا حينما نتوجه إليه بالدعاء نكون بأمس الحاجة إلى الإحساس و الشعور به عز و جل .. لا أن ندركه و نتصوره، فان ذلك ليس هو المهم. و تلك الأسماء توفر لنا ذلك الشعور العميق المفعم بالمعاني الحية، و المثيرة لكوامن الإحساس به و بوجوده، و بالحاجة إليه، و بالضعف أمامه، و غير ذلك من معان توحى لنا بها تلك الأسماء. انها تجعلنا نتفاعل معه، و نعيش فى رحابه، و ننتقل فى آفاقه، و تترك آثارها على كل وجداننا، و على حياتنا العملية، على حركتنا و موقفنا و سلوكنا مع الناس، و مع أنفسنا، انها تحل مشاكلنا النفسية، و الروحية، من حيث انها توحى إلينا بالمعاني التى نشعر أننا بحاجة لأن نتلمسها و نعيشها، و نشعر أنها أدواتنا التى توصلنا إلى ما نطمح

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٠

إليه، و تحقق لنا ما نريد من دون حاجة إلى دليل عقلى أو فلسفى، أو منطقى برهانى.

ان كل ذلك لا يمكن أن تحققه لنا قناعات فكرية، أو معادلات رياضية، أو براهين فلسفية.

فهذه الأسماء إذن توصلنا فى موضع الخوف، و الرجاء، و الضعف و الحاجة إلى الله سبحانه، و تصلنا به من أقرب طريق، و أصفاه.

الله:

أما بالنسبة للفظ الجلالة "الله" فهو اسم علم للذات الإلهية المقدسة.

و قد أخطأ من قال: انه اسم لشيء عام كلى هو (واجب الوجود بالذات)، أو اسم (للمعبود بالحق) أو ما إلى ذلك.

اذ لو كان كذلك لكان المراد من كلمة "لا اله الا الله" لا واجب الوجود، إلا واجب الوجود، أو لا معبود بالحق إلا المعبود بالحق. و يدل على ذلك أيضا ما أشار إليه السيد العلامة الطباطبائي رحمه الله تعالى، من أن لفظ الجلالة يوصف بجميع الأسماء الحسنی، و لا يصح أن يقع هو وصفا لأي واحدة منها. تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤١

الأصنام عند العرب:

و واضح: أن العرب كانوا يستعملون لفظ الجلالة في معناه. أما الأصنام فكانوا يعتقدون: أنها تقربهم إلى الله تعالى زلفى، و أن لها نوعا من التأثير في حياتهم: في الشفاء، و الرزق، و حل المشاكل، و ما إلى ذلك. فيعطونها نوعا من الشراكة مع الله سبحانه بهذا المعنى. و قد كانوا يعظمونها- في الأساس- لأنها تمثل بعض الصلحاء، أو غير ذلك. ثم تطور هذا التعظيم ليصبح تقديسا، ثم تطور ليصبح اعتقادا ببعض التأثير، و تعظيم و نما حتى بلغ درجة الشرك الذى هو ظلم عظيم. فجاء الانحراف عن مقتضيات الفطرة تدريجيا، كما ترى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٢

الرحمن الرحيم

إشارة

إننا قبل أن نتكلم عن المقصود من هاتين الكلمتين، نشير إلى أمر هام يرتبط بمعناهما، بل هو يرتبط بسائر صفاته و أسمائه تعالى، و هو: أن الرحمة لدى بنى الإنسان عبارة عن انفعال نفسانى ذى طابع خاص، يحصل بسبب رؤية العجز أو الضعف أو النقص لدى إنسان أو أى مخلوق آخر ذى روح. فإذا رأينا طفلا عمره شهر تحت أشعة الشمس، أو جريحا، أو رجلا تحت الأنقاض يحصل فى داخلنا انفعال معين بطريقة عفوية و فطرية، يدفعنا إلى العمل و مديد المساعدة لذلك العاجز و المنكوب. لكن حينما نصف الذات الإلهية المقدسة المنزهة بصفة الرحمانية و الرحيمية، فإن نحو و كيفية تلبسها بصفة الرحمة، أو انتساب الرحمة إليها يختلف عن نحو و كيفية تلبسها بالإنسان و انتسابها إليه. و نحن نجهل تماما حقيقة الرحمة التى ننسبها إليه تعالى، و لا نستطيع حتى أن نتصور حقيقتها، و نجهل أيضا كيفيتها لديه تعالى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٣

و قد ورد النهى عن المعصومين عليهم السلام عن التعمق فى التفكير فى حقيقة الذات الإلهية «٣٨». غاية الأمر أننا حينما نلاحظ كثرة صدور الرحمت، أو فقل: الأمور التى هى من لوازم الرحمة بزعمنا، أو بحسب تصورنا، منه تعالى؛ فإن ذلك يجعلنا ننسب إليه تعالى صفة: رحمان، أو رحيم.

تحديد معنى الرحمان الرحيم:

و أما بالنسبة لمعنى هذين اللفظين، فإننا نقول:

قالوا: إن كلمة الرحمان، تفيد المبالغة، أى الذى يفيض الرحمة و تصدر عنه كثيرا، و من كل جهة. و معنى ذلك:

أنها وصف لا يختص بالمؤمن، بل يعم الكافر أيضا.
 أنها- و الحالة هذه- إنما تناسب الحياة الدنيا، إذ ليس للكافر منها في الآخرة من نصيب.
 وقالوا: إن كلمة "الرحيم" صفة مشبهة، أى أنها تدل على وجود الصفة في الموصوف بصورة ثابتة و دائمة، و معنى ذلك:
 أن هذا إنما يناسب المؤمن دون الكافر، لأن المؤمن هو الذى يستحق الرحمة الدائمة.

(٣٨) راجع: البحار ج ٣ ص ٢٥٩ فما بعدها.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٤

إن هذا الوصف يمتد إلى الآخرة أيضا، ليكون المؤمن مرحوما فيها. و ليناسب ذلك معنى الثبات و الدوام فيها.
 و لأجل ما تقدم نجدهم يقولون: رحمان الدنيا و رحيم الآخرة.
 و نحن بدورنا نقول:

إن ما ذكره مشكوك فيه، بل الله سبحانه رحمان فى الدنيا و الآخرة، و رحيم فيهما معا أيضا. و قد ورد فى الحديث الشريف "
 رحمان الدنيا و الآخرة و رحيمهما" «٣٩» و قال تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا «٤٠» و قال سبحانه:
 الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ «٤١» و استعملت "الرحيم" للحديث عن رحمته تعالى فى الدنيا، قال تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا «٤٢».

و هذا هو السر فى التركيز على هاتين الصفتين فى أعظم آية فى القرآن الكريم، و ذلك لأن كلمة رحمان تساوى كلمة غضبان

(٣٩) امالى الشيخ الطوسى ص ٥٢٣ ط سنة ١٤٠١ ه مؤسسه الوفاء- بيروت.

(٤٠) سورة مريم الآية ٨٥.

(٤١) سورة الفرقان الآية ٢٦.

(٤٢) سورة النساء الآية ٢٩.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٥

أو شعبان أو نعلان أو يقطان. و هذه الصفات بهذه الصيغة ليست من صيغ المبالغة، و إنما هى تدل على وجود الصفة فى موصوفها
 على نحو التمام و الكمال، فكلمة "غضبان" مثلا كما يقول أهل اللغة معناها الشخص الممتلئ غضبا «٤٣» أو "الذى يغضب سريعا.
 و قيل: شديد الغضب" «٤٤».

فإذا كان المراد بالرحمن هو أنه عز و جل ممتلئ رحمة، فلازم ذلك أن تصدر عنه الرحمة بكثرة، فيرحم سبحانه المؤمن و الكافر، و
 العالم و الجاهل، و الكبير و الصغير، و الغنى و الفقير، و ما إلى ذلك.

فما قاله الطبرسى و غيره: "الرحمان الرحيم: اسمان وضعا للمبالغة، و اشتقا من الرحمة و هى النعمة إلا أن فعلا أشد مبالغة من فعيل"
 «٤٥».

و قال ابن منظور عن كلمة رحمان "معناه الكثرة." و قال:

فعلان من أبنية ما يبالغ فى وصفه «٤٦».

(٤٣) التبيان ج ١ ص ٢٨ و ٢٩ و الكشاف ج ١ ص ٤١.

(٤٤) لسان العرب ج ١٠ ص ٤٤٩.

(٤٥) مجمع البيان ج ١ ص ٢٠ ط دار احياء التراث العربي سنة ١٣٧٩ هـ و لسان العرب ج ١٢ ص ٢٣١.

(٤٦) لسان العرب ج ١٢ ص ٢٣٠ و ٢١٣ و راجع كلمة: كريم فى ص ٥١٠ و ٥١١.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٦

هذا القول فيه نوع من التوسع، فلعل الطبرسى و غيره من المفسرين و أهل اللغة، ذكروا لازم المعنى، فصوروه لنا على أنه هو المعنى نفسه، بنوع من التوسع أو التسامح.

أما بالنسبة لكلمة "الرحيم" فيمكن أن تكون للمبالغة مثل عليم، بمعنى كثير العلم. و قد تكون صفة مشبهة لمجرد إفادة ثبوت الوصف من دون أى مبالغة أو تكثير، مثل مريض، و قديم و كبير و صغير.

و لكننا إذا رجعنا إلى الآيات القرآنية، فإننا نجد أنها فى الأكثر قد وردت و إلى جانبها كلمات هى: غفور، تواب، رؤوف، ودود، بر عزيز.

و هذه الصيغ إما هى للمبالغة، كالأربعة الأول، و هى واقعة فى عشرات الآيات، أو أنها صفة مشبهة كالكلمتين الأخيرتين، اللتين وردتا فى موارد قليلة جدا، و الصفة المشبهة تدل على نسبة الصفة للموصوف، و قيامها فيه فعلا، من دون إشارة إلى معنى الحدوث .. فاقتران كلمة الرحيم بصيغ المبالغة يشير إلى أنها صيغة مبالغة مثلها ككلمة: عليم .. إذ المفروض وجود تجانس فيما بين الصفتين سوغ للذوق أن يعقب إحدهما بالأخرى. إذ لو كانت إحدهما للمبالغة دون الأخرى، فإن مستوى الانسجام و التجانس سوف يضعف، و سيشعر القارئ بوجود نقلة غير طبيعية، بعيدة عن السهولة بصورة عامة.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٧

كما أنها حين جعلت إلى جانب الصفة المشبهة، مثل كلمة عزيز، فإنها قد استعملت صفة مشبهة يقصد بها تمامية الصفة فى موصوفها على سبيل الثبات و الدوام، من دون إلماح إلى معنى الحدوث. فهى إلى جانب الصفة المشبهة تكون صفة مشبهة مثل كريم، و سقيم، و حكيم، و إلى جانب صيغة المبالغة تكون مثلها صيغة مبالغة تدل على الامتلاء بالرحمة، و يلزم من ذلك كثرة صدورها منه تعالى لمن يستحقها. أو لعلها هى بنفسها أيضا من صيغ المبالغة أيضا كما ذكره الطبرسى و غيره.

و لا نستبعد أنه تعالى قد جاء بكلمة "رحيم" التى هى صيغة مبالغة على شكل الصفة المشبهة ليفيد المعنيين معا. أى ليفيد المبالغة و تمامية الصفة فى موصوفها لأنها على شكل صيغ المبالغة، و ليفيد الدوام و الثبات لأنها على شكل الصفة المشبهة.

و قد اتضح مما تقدم: أن ما قالوه من أنه تعالى: رحمان فى الدنيا رحيم فى الآخرة، لأن الكافر لا يستحق ثبات و دوام الرحمة لتصل إلى الآخرة. فتكون كلمة رحيم خاصة بالمؤمن. و كلمة رحمن تشمل المؤمن و الكافر.

هذا القول غير دقيق: بل هو استنبطه من شؤون العقيدة، لا- من الدلالات اللغوية لهاتين الكلمتين، فقيدا المعنى اللغوى بالدليل العقائدى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٨

و إنما قلنا: إنه غير دقيق، لأن المعنى اللغوى على النحو الذى ذكرناه ليس ناظرا إلى تلبس الرحمة بهذا الشخص أو ذاك، بل هو ناظر إلى كيفية قيام الصفة بموصوفها. و أن كلمة الرحمان لا تدل على كثرة الرحمة دلالة مطابقة. بل المدلول المطابقى الأول لكلمة الرحمان هو الامتلاء بالرحمة. فيلزم من ذلك كثرة صدور الرحمة عنه للمستحق لها. فالفيض و الصدور من لوازم المعنى، خارج عنه عارض له. و كلمة الرحيم، تدل على الثبات و الدوام و الرسوخ، فالرحمان ناظرة للكم، و الرحيم ناظرة للكيف. بالإضافة إلى المبالغة فى ذلك مثل كلمة عليم.

سبب اختيار هاتين الصفتين: و هنا سؤال يقول:

لماذا اختار الله سبحانه هذين الوصفين في هذه الآية الكريمة- البسمة- التي يفترض أن يرددها الإنسان في مختلف شؤونه و حالاته، و ربما يرددها عشرات المرات في كل يوم، ثم اعتبرت هذه الآية أعظم آية في القرآن الكريم؟ و لم لم تذكر في البسمة صفات أخرى، مثل: التواب، الغفور، الشافي، الكريم، الخالق، الرازق، العليم، القوي، الرؤوف، الخ؟!.

و الجواب- باختصار شديد:- إن المطلوب للإنسان في سير حياته أن تشمل العناية الإلهية، فيستفيد من خالقيته تعالى تفسير سورة الفاتحة، ص: ٤٩

خلقا، و من رازقيته رزقا، و من حكمته تدبيرا، و من قوته و انتقامه و جبروته حمايه و رعايه، و من عزته عزاء، و من كل صفاته الجمالية كمالا و جمالا، و قوة، و صحة، و شفاء، و توبة و مغفرة، الخ ..

كل هذه الأمور و سواها مآلها إلى صفة الرحمانية و الرحيمية فيه تعالى. فمن خلال الرحمة يصدر ذلك كله عن الذات الإلهية، فيرزق تعالى و يشفى، و يدبر، و يقوى، و يتوب، و يغفر، الخ ..

لكونه رحيمًا و رحمانًا. و لا توجد أية صفة أخرى تستبطن هذه الصفات و سواها. فكلمة التواب، أو الغفور، أو الشافي، أو الرازق، الخ .. لا تقوم مقام رحمان و رحيم. أي إن كلمة التواب مثلا لا تقوم مقام الرازق أو الخالق، لأنها لا علاقة لها بالرزق، و الشفاء. و كذلك كلمة الرزاق لا تقوم مقام غيرها من الصفات، و هكذا ..

أما كلمة الرحمان الرحيم، فإنها تستدعي أن يشفيك الله لكونه إلهك الراحم، و أن يقويك لأنه أيضا إلهك الراحم، و أن يتوب عليك و يرزقك لكونه كذلك إلهك الراحم، و هكذا ..

فإذا دخلت من باب الرحمة، فإنه يوصلك إلى مضمون سائر الصفات، و يمكنك منها جميعا.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥٠

كما أنك- من جهة أخرى- لا تريد هذه الرحمة لمرّة واحدة، بل تريد دوامها، و استمرارها في الدنيا و الآخرة، و في كل حال و مجال.

و خلاصة الأمر: إننا ندخل من باب الرحمة إلى عالم الفيوضات الإلهية اللامحدود و الذي لا ينضب. و نحصل على كل مقتضيات سائر صفات الذات الإلهية المقدسة و على كل شيء، و نحل بذلك كافة مشاكلنا، و في كل حين فنحصل على الرزق، و الشفاء، و الغفران، و التوبة، الخ ..

و لا توجد أية صفة أخرى سوى الرحمانية و الرحيمية قادرة على تلبية حاجات الإنسان، و تحقيق طموحاته، و تحصينه من اليأس، الخ ..

كلمة "الرحمان" علم أم صفة؟

و آخر ما نلفت النظر إليه هنا هو: أنه تعالى، قد جعل كلمة الرحمان صفة للفظ الجلالة. مع أن البعض يدعي: أنها قد أصبحت علما بالغلبة، فكيف يصح وصف العلم بالعلم؟

و نقول:

إن صيرورتها علما بالغلبة غير ظاهر، و وصف لفظ الجلالة بها دليل على أنها لا تزال صفة. و قوله تعالى: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥١

تفسير سورة الفاتحة ١٠٦

أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ «٤٧» لا يدل على علميتها، لا مكان أن يدعو الإنسان الله و أن يدعو التواب، و الكريم، و الشافي، الخ .. و لا تجعل الدعوة هذه الأمور علما.

و يمكن أن يقال: إنك إذا سميت رجلا- بكلمة "عادل" أو كريم: فإن لاحظت العلمية فيها، فلا يصح الوصف بها، وإذا لاحظت الوصفية، وأنه يملك صفة العدل صح الوصف بها. و الحال بالنسبة لكلمة الرحمان من هذا القبيل.

(٤٧) سورة الإسراء، الآية ١١٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥٣

تفسير قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

إشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥٥

الحمد لله:

إشارة

قد دلت الآية على أن الحمد كله متمحض لله تعالى. و قبل بيان ذلك نشير إلى الفرق بين الحمد و المدح فنقول: قالوا: إن المدح هو الثناء سواء أكان على شىء اختياري، أو غير اختياري، فقد تمدح الإنسان على إنقاذه الغريق، و قد تمدحه أيضا على جماله، و على طوله، مع أن الجمال و الطول هما خلقه الله، و ليس للإنسان فيهما أى اختيار. و تدم بعض المخلوقات على أفعالها السيئة و على شكلها الذى تراه قبيحا أو غير متناسق، مع أن القبح ليس من اختيار الإنسان. أما الحمد، فهو- كما يقولون:- الثناء على الفعل الجميل الاختياري. و نحن لا نوافق على قولهم هذا، و نقول: إن هذا الحمد الوارد فى هذه السورة و غيرها قد يكون على فعل اختياري كفعل الخالق، و الرازقي، و المغفرة، الخ ..

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥٦

و قد يكون ثناء عليه تعالى بأنه حتى قيوم منزه عن الشريك، و عن النقص، و عن الصاحبة و الولد، مع أن عدم وجود شريك له تعالى ليس فعلا اختياريًا له سبحانه، بل هو ليس من مقولة الفعل أصلا. و خلاصة الأمر: إن الأفعال المشيرة إلى صفات الفعل تصدر عنه تعالى باختياره. فالله قوى لأنه يصدر عنه باختياره ما يشير إلى القوة، و هو رحيم، خالق، رازق، حكيم، لأنه يصدر عنه باختياره فعل يشير إلى الرحمة و الرازقية و الحكمة الخ. فيستحق الحمد لأجل ذلك، كما يستحق الحمد لأجل أنه حتى قيوم، لا شريك له، و لا نقص فيه.

اختصاص الحمد بالله سبحانه:

و عن سبب تخصيص الحمد كله بالله تعالى:

إن "أل" للجنس أو للاستغراق و على كلا الحالتين تفيد الاستغراق و الشمول للأفراد. و الفرق بينهما إنما هو بالاعتبار، و الإجمال و التفصيل.

أى أن حقيقة الحمد إنما يستحقها الله سبحانه، أو أن الذى يستحق جميع أفراد و مراتب الحمد هو الله سبحانه. فعلى الأول:

تكون للجنس و على الثاني: تكون للاستغراق.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥٧

و السر فى ذلك هو أن البسملة قد جعلتنا نعترف بأن الله الذى له صفة الألوهية متصف بجميع صفات الجمال و الجلال و الكمال. فإذا أردنا أن نطلب من الله سبحانه أن يفيض علينا من خلال هذه الصفات: الرزق، و المغفرة، و الشفاء، و الخلق، و القوة، و الصحة .. الخ، فمفتاح ذلك كله هو الرحمة الإلهية، فلا بد من الدخول من بابها فإنه تعالى ممتلى رحمة، و كثيرة هي رحماته بمقتضى "رحمان". ثم لأجل استمرار الاستفادة من فيوضات الرحمة التي هي من مقتضيات صفات الألوهية لا بد من ثبات هذه الرحمة و دوامها مفيضة و منيلة، كما ألمحت إليه كلمة "الرحيم".

و بعد تقديم ذلك الاعتراف بأنه سبحانه قد أفاض علينا من كل ما تقتضيه تلك الصفات بجميع فروعها من جلاله و جماليه، أو فقل: من صفات فعل أو صفات ذات، يأتي الحمد و الثناء بمثابة اعتراف بهذه الفيوضات، لأنها هي التي دفعتنا لهذا الثناء .. و إنما اعتبرنا أن المستحق لحقيقة الحمد، أو لكل مرتبة من مراتب الحمد و كل فرد من أفراده هو الله سبحانه، لأن كل ما يصل إلينا من خلال الإفاضة المباشرة مثل خلقنا. أو بالواسطة، كإحسان الوالدين لنا. و مثل ما نستفيد من الطبيعة كالأرض، و الشجر، و الشمس و النجوم. إن كل ذلك إنما ينتهي إلى الله سبحانه بالمباشرة أو بالواسطة.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥٨

و هذا يفسر لنا إضافة "أل" الاستغراقية أو الحقيقية إلى كلمة "حمد"، فقال: "الحمد".

الحمد و الرحمة بداية و نهاية:

و الملفت للنظر هنا: أنه سبحانه تعالى قد أفهمنا أن "الرحمانية و الرحيمية" كانت هي البداية كذلك كانت هي النهاية.

حيث قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

أى أننا حين نجعل اسم الله ملابسا و ليس - فقط - مصاحبا لكل شىء، فإننا ندخل و نصل إليه من باب الرحمانية و الرحيمية، و نستمد منه كل خير. حتى إنه هو الذى يستحق الحمد الحقيقى، أو يستحقه بجميع مراتبه و أفراده. وبقى مع هذه الرحمة حتى نصل إلى النهاية. أى أننا مع الرحمة منذ بدء خلقنا مروراً بالرازق، و المعافى، و الشافى، و المربى، و وو .. و انتهاءً بالتواب و الغفور ..

ثم تكون النهاية الرحمة أيضاً. فلا بد أن يكون الحمد أيضاً هو النهاية، كما كانت البداية هي الحمد. و هذا ما يشير إليه قوله تعالى: وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

إذن، فالله سبحانه يريد أن يهيب الإنسان لأن ينظر إلى كل حياته، و كل آفاقها فى بداياتها و فى سيرها التكاملى، ثم فى نهايتها، نظرة شمولية، مستوعبة، و واعية و عميقة، تربط الأمور بأسبابها، ثم بنتائجها. إنه سبحانه يريد لهذا الإنسان أن يفتح عينيه على

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٥٩

حقيقة الحياة و يسجل اعترافه المباشر بتاريخ ارتباطه بالله سبحانه، و ارتباط الكون كله به تعالى، و برعايته سبحانه له من قبل أن يخلق، و إلى ما بعد أن يبعث و يحشر.

و الاعتراف بهذا التاريخ، و الانصياع له، و الإيمان به يوصل إلى الحمد، إذ لا يمكن أن تكون حامدا كل الحمد إذا لم تعرف و تعترف بكل ما صدر منه و عنه تعالى تجاهك، و تجاه كل المخلوقات فى هذا الكون الأرحب الذى بناه لتستفيد منه فى تكاملتك فى إنسانيتك و فى مسيرتك نحو الله سبحانه.

و هكذا يتضح: كيف أن هذه الكلمة هي فى الحقيقة المفتاح للمعارف الاعتقادية، و هي الأساس القوى للنظرة إلى الكون و إلى الحياة، نظرة عميقة و واعية، من خلال التوحيد الخالص و الصافى.

فمن الواضح: أن أحدا لا يستطيع أن يحمده الله بصدق ووعي من دون أن يملك هذه النظرة: بل إن فهم الحياة و التعاطي معها لا بد أن يكون أساسه هذه النظرة بالذات، و مستندا إلى فهم الحمد بهذه الطريقة.

فكلمة الحمد إذن كبيرة جدا بحجم هذا الكون، بل هي أكبر من الكون و من الإنسان. إنها بحجم الفيوضات الإلهية على كل الموجودات و المخلوقات. و لا سيما الذي يعينك منها،

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٠

و تستفيد منه، و تتفاعل معه. إنها بحجم العقيدة التوحيدية، بل بحجم كل الصفات الإلهية الجليلية منها أو الجمالية.

إذن فليس من قبيل الصدفة أن تكون أول كلمة- بعد البسملة- في السبع المثاني، التي لا بد أن تقرأ مرات في الصلاة في كل يوم هي كلمة "الحمد؛" إنه أراد لنا أن ندخل من باب الحمد، إلى كل الحقيقة المنبسطة على هذا الوجود. مدركين حجم الارتباط بالله، و نوع، و كيفية التعاطي معه سبحانه و تعالى.

له الحمد في الأولى و الآخرة:

إشارة

إشارة

و من أجل توضيح بعض ما ذكرناه آنفا نعود، فنقول:

قد تكلم الله سبحانه عن الحمد في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: **لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَ الْآخِرَةِ** «٤٨». فما هو المقصود بالأولى، و ما و المقصود بالآخرة؟!.

و هل هذا ينسجم مع ما ذكرناه من معنى الحمد؟! و ارتباطه بآية البسملة؟! .. و كيف نربط أيضا بين ذلك و بين قوله: **وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** «٤٩»؟!.

(٤٨) سورة القصص، الآية ٧٠.

(٤٩) سورة يونس، الآية ١٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦١

و هل صحيح ما يقولونه: من أن الحمد لا بد أن يكون على فعل اختياري؟!.

إننا في مقام الإجابة على هذه الأسئلة نقول: إن صفات الألوهية؛ تقتضى نفي كل نقص عن الذات، و عن الأفعال، و المدخل لنا إلى هذه الصفات هو الرحمة الإلهية. و الحمد إنما يأتي كنتيجة للاستفادة من هذه الصفات.

فنستفيد منها في الخلق **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا** .. «٥٠».

و في الهداية: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا** «٥١».

و في التفضيل: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا** «٥٢».

و في العلم **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ** «٥٣».

و في النجاة **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا** «٥٤».

(٥٠) سورة فاطر، الآية ١.

(٥١) سورة الأعراف، الآية ٤٣.

(٥٢) سورة النمل، الآية ١٥.

(٥٣) سورة الكهف، الآية ١.

(٥٤) سورة المؤمنون، الآية ٢٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٢

و في العافية الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ «٥٥».

و في الملك الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ «٥٦».

بل و قبل كل شئ في التوحيد و نفى الشريك الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ «٥٧».

فالحمد في الآية الأخيرة ليس على أمر اختياري لأن عدم الشريك ليس فعلا له تعالى. فتخصيص الحمد بالفعل الاختياري يصبح غير دقيق.

و من جهة أخرى، فإن الحمد بعد كل هذا يصبح بمثابة الدليل القاطع على تحقق ذلك كله من موقع الفيض الإلهي، و هو أيضا تتويج لكل مسيرة التكامل الإنساني الكادح إلى الله سبحانه.

فالحمد هو البداية، التي تفتح بالفيوضات الإلهية لأصل الخلق و الوجود، و كل النعم في الحياة الأولى التي هي الدنيا. و تستمر هذه الألفاظ و الفيوضات إلى الآخرة أيضا، التي هي الحياة

(٥٥) سورة فاطر الآية ٣٤.

(٥٦) سورة الإنعام، الآية ١.

(٥٧) سورة الإسراء، الآية ١١١.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٣

الحقيقية. كما قال تعالى: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ «٥٨».

فيصل الإنسان إلى الله و يعرفه، من خلال إحساسه بنعمه و تفضلاته عليه و فيوضاته المتلاحقة و الغامرة. فيبحث عنه، و يعرفه ليقف موقف العرفان، لأن معرفته تعالى عن طريق الإحساس بالنعمة، تكون أعمق و أدق و أكثر تأثيرا من معرفته عن طريق الاستدلال الفلسفي، العقلي، النظري، لأن هذه المعرفة حسية، ثم تترقى لتصبح وجدانية، ثم فطرية، يتفاعل معها بأعماقه، و بكل أحاسيسه و مشاعره و بفطرته. ثم هو يبادر إلى الثناء على هذا المنعم، و بعد ذلك يبادر إلى شكره، و الوقوف في موقع الطاعة و الانقياد.

و هذا هو معنى وجوب شكر المنعم الذي دل عليه القرآن:

أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ «٥٩»، اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ «٦٠».

(٥٨) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

(٥٩) سورة لقمان، الآية ١٤.

(٦٠) سورة سبأ، الآية ١٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٤

و تستمر المسيرة في هذا الحمد إلى الحياة الأخرى لتكون:

أخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لما شهدوه و يشهدونه من تربية و رعاية إلهية مستمرة و متلاحقة.
و كل ذلك يفسر لنا أيضا: السبب في كون كلمة الحمد هي أول كلمة بعد البسملة في سورة الحمد، و السبع المثاني.
و يتضح من ثم أن الآية منسجمة تمام الانسجام، و لا مجال لأى توهم أو اعتراض.

لماذا لم يقل الحمد لرب العالمين:

و أما لماذا لم يقل: الحمد لرب العالمين. بل قال: الحمد لله رب العالمين. فلعله لأنه يريد منا أن نتعامل معه، و أن نرتبط به سبحانه بما هو مستجمع لصفات الجمال و الجلال، صفات الفعل، و صفات الذات، ثم يتبع ذلك بالتنصيص على صفة المربى لتكون هذه التربية هي المبرر لمبادرتنا إلى حمده بما له من صفات الألوهية الكاملة و المطلقة.
و ذلك لأنه تعالى إنما تعامل مع هذا الوجود كله من موقع ألوهيته له و لكل المخلوقات. و قد جاءت صفات الفعل، مثل: المربى، و الخالق، و الرازق، و الرؤوف، و الرحيم، و القوى، .. الخ، لتجسد هذا التعامل.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٥

لماذا الحمد!?:

و نحن إنما نحمده من موقع العرفان بالفضل، الذى يقتضى الشكر للمنعم، لأن الإنسان حين يريد أن يتعامل مع الله سبحانه لا بد أن يعرفه أولا. و أعمق درجات المعرفة هي المعرفة الوجدانية. و أعمقها و أشدها تأثيرا هي تلك الناشئة من إحساس الإنسان بالنعمة التى تستلزم معرفة المنعم و المحسن، بدرجة من درجات المعرفة.
و هذا هو الشيء الذى يتعاطى معه الإنسان بوجدانية و واقعية أكثر و أعمق. حيث تتناغم المعرفة الحسية فى مستواها الدانى مع ما هو أرقى و أسمى منها و هي المعرفة الوجدانية و الضميرية و الفطرية، التى هي أبعد أثرا من المعرفة التصورية الفكرية، التى هي على حد المعادلات الرياضية، أو العقلية الفلسفية، أو حتى الأمور الغيبية الصرف.
إذ أن الغيب هذا إنما يدخل إليه الإنسان من خلال الحس الوجدانى، من حيث ملامسته و مساسه بوجوده، و بحياته و مستقبله.

لغة القرآن فى التربية العقائدية:

و لأجل هذه الحقيقة الآنفه الذكر نلاحظ: أن الله سبحانه فى قرآنه الكريم لم يتكلم عن التوحيد، و عن الله، و عن الآخرة، تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٦
و عن سائر الاعتقادات بمصطلحات فلسفية أو مقتبسة من علم المنطق أو غيره. و إنما دخل إلى الأمور الاعتقادية من باب لغة الحياة، حيث ربطها بصورة مباشرة بالشأن الحياتى العملى المتجسد و الملموس. لتستقر هذه الاعتقادات فى القلب من خلال الإحساس، و الشعور المباشر و العميق. و لتتخذ موقعها القيادى و المحرك فى هذا القلب.
فمثلا، تحدث الله عن التوحيد و ربطه بالليل، من موقع كونه سكنا لهم، ثم ربطه بالنهار، من موقع كونه مناسبا للابتغاء من فضل الله سبحانه ثم ربط كلا الأمرين بالرحمة الغامرة، التى تعمل على توفير الأجواء الحياتية الملائمة للسعى نحو التكامل باستمرار.
قال تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَشْمَعُونَ
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ، أَمْ لَا تُبْصِرُونَ
تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٧

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «٦١».

فإن الله سبحانه قد تحدث إذن عن التوحيد بما له مساس بواقع الإنسان الذي يعيشه و يحس به، و يتفاعل معه بمشاعره و أحاسيسه لا بطريقة تجريدية و نظرية أو بصورة طرح معادلات فكرية جافة.

و في سورة الحمد يريد تعالى أن يطرح قضية التوحيد من موقع التعريف بصفاته تعالى، و الإحساس المباشر بآثار تلك الصفات، ثم سوق هذا الإنسان للإحساس بمدى تأثيره تعالى في كل جهات الحياة، و في جميع مفرداتها، و في كل الموجودات في هذا الكون الرحيب، مع الحرص الأکید على أن يخرج عن أن يبقى مجرد أمر تصوري، تجريدي و نظري؛ ليصبح شأننا حياتيا حيا مؤثرا، يفهمه الإنسان، و يتلمسه بوجدانه، و يتحسس بمشاعره، من خلال إحساسه بالنعمة الغامرة، و بالعطاء، و بآثار الرحمة، و العلم و الغفران، و الحكمة الإلهية، و غير ذلك من صفاته تعالى.

التي يتلمس الإنسان آثارها في كل آن على مدار اللحظات، فضلا عن الساعات، في نفسه، و في كل ما يحيط به، و في كل الموجودات.

(٦١) سورة القصص، الآيات ٧١ و ٧٢ و ٧٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٨

التسبيح بحمد الله تعالى:

و في سياق آخر نقول: إننا نجد الله سبحانه يقول:

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ «٦٢». و نحن مأمورون بأن نقول في صلواتنا في كل ركوع: سبحان ربي العظيم و بحمده، و في كل سجود:

سبحان ربي الأعلى و بحمده. و قد اعتبر الشارع هذه الصيغة:

تسبيحه كبيرة. فإذا أردنا أن نتجاوزها، فلا يعوض عنها إلا ثلاث تسيحات: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله. و اعتبر كلمة سبحان الله تسبيحه صغيرة بالنسبة لتلك التسبيحه الكبيرة.

و هنا العديد من الأسئلة:

إشارة

ما معنى هذا التسبيح؟!

و ما هو الرابط بين التسبيح و الحمد؟!

و لماذا كانت تلك تسبيحه كبيرة، و الأخرى صغيرة؟!

و لماذا لا يقوم إلا ثلاث تسيحات صغار مقام تلك الكبيرة فلا يكفي تسيحتان مثلا؟!

(٦٢) سورة النصر الآية ٣. و سورة الحجر الآية ٩٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٦٩

و نقول في الجواب:

التسبيح هو تنزيه الله تعالى عن كل شائبة: سواء أكانت من الأفعال الاختيارية: كتزويجه عن البخل، وعن الظلم، وعن القسوة. أو كانت غير اختيارية كتزويجه عن الضعف، والحاجة، والغفلة، والنسيان، وغير ذلك من أمور تعود إلى الذات. وكتزويجه عن أمور خارجة عن ذاته سبحانه، مثل الشريك، والولد، والصاحبة، وما إلى ذلك.

و تقدم أن الرحمة هي المدخل إلى الاستفادة من الفيوضات التي تقتضيها كل صفات الذات الإلهية، ليسعد هذا الإنسان بإنسانيته، و سيره التكاملية نحو الله تعالى. و بسبب شمولية هذه الفيوضات و استيعابها لكل الحياة و للكون بأسره، فقد استحق الله دون غيره حقيقة الحمد (إن كانت أل هي الجنسية) أو جميع أفراد الحمد، إن كانت أل للاستغراق.

و سوف نرى: أنه تعالى إذا كان يحمد من حيث ربوبيته الملازمة للرعاية و التربية، فمعنى ذلك هو شمولية الحمد و استغراقه، و ذلك لأن شمولية آثار الصفات سوف تتسع لتستوعب كل ما له تأثير في هذه الرعاية؛ فالحكمة، و العطف، و العلم الدقيق بخصائص الكون و الإنسان، و بما يصلح و بما يفسد، و الرحمة، و الغنى، و الكرم، و القدرة، و القيومية الدائمة، و الخ .. كل ذلك دخيل في هذه الرعاية و التربية، و مؤثر فيها.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٠

فالفيض الإلهي لكل ما تقتضيه التربية لهذا الإنسان، و الشعور بهذا الفيض يستدعي الحمد، و الثناء. ثم الشكر، لهذا المنعم، و التزام كل ما يرضيه.

و من الواضح: أننا حين نريد تنزيهه تعالى: نقول:

سبحان الله. أى أنزه الله و أبعده عن كل شائبة، فقد يقال: هذا مجرد كلام ليس له ما يشته.

فإذا سبحت الله بواسطة الحمد، و نسبت التسبيح لك شخصيا، و قررت أن هذا التسبيح و التنزيه إنما هو لله بعنوان كونه ربا أى راعيا و مربيا، فإن الأمر يصبح مختلفا تماما عن قولك: سبحان الله فقط، و يكون هذا هو الإثبات المطلوب.

و ذلك لأن الحمد يكشف عن: أن الله سبحانه قد اتصف بصفة حسن ثابتة فيه استحق الحمد لأجلها، ككونه ليس له شريك، و لا ولد و لا صاحبة، و لا مكان، لا ينسى، و لا يسهو، و لأنه عالم حى قيوم قادر غنى، الخ .. كما انه يعنى أنه تعالى قد صدرت عنه أفعال اختيارية استحق لأجلها الثناء و الحمد، هي كل ما فى هذا الكون من نعم نستفيد منها مباشرة أو بالواسطة «٦٣» كالخلق، و الرزق، و الرحمة و الرأفة، و الشفاء،

(٦٣) حتى فى مثل الطبيب الذى يشفيك بقدرة الله، و الكريم و الهادى الذى يعطيك و يهديك مما أنعم الله به عليه، و بهداية الله و توفيقه، و إذنه و إرادته.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧١

و القيومية، الخ .. فانتزعا من هذه الأفعال الاختيارية صفات جمال و أضفناها إلى ذاته المقدسة: كالخالق و الشافى و العالم، و القادر الخ .. فالحمد إذن ينتهى إليه. قال تعالى: لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «٦٤».

فإذا سبحت الله بالحمد فإنك لم تنف النقص بالقول و حسب، بل جئت بما يدل على انتفاء ذلك النقص عمليا. لأن حمدك هذا يدل على صدور فعل اختياري عنه تعالى قد تجسد فى الخارج، بل إن ذلك يدل على مزيد من نفي النقص، و مزيد من الكمال.

و توضيح ذلك: أنه قد يكون شخص مستجمعا لكل الصفات البشرية كالعينين و الأذنين و اليدين و الرجلين و العقل الخ .. فهو إذن كامل لا نقص فيه. و قد يكون شخص فيه مما يزيد على هذا الكمال، ككونه جميل الصورة، أو أنه عالم. أو قوى، أو كريم، أو نحو ذلك.

و الأمر بالنسبة للذات الإلهية من هذا القبيل، فإن نفي النقص يستبطن إثبات الكمال، و هذا مرتبة أولى، ثم يكون إثبات صفات زائدة

على الكمال مرتبة ثانية، فإذا حمدته تعالى فإنك تكون أثبت له الكمال بنزاهته عن النقص بالدليل و تكون أيضا

(٦٤) سورة القصص، الآية ٧٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٢

قد أثبت صفة إضافية بالدليل أيضا. من حيث أن حمدك يستبطن تأثير تلك الصفة و تجسد أثرها على صفحة الواقع. فإذا أثبت الربوبية فقد جئت بدليل آخر يفيد انبساط تلك الآثار على كل وجود، و كل ما فى هذا الكون الفسيح. مما يعنى تنوع تلك الصفات التى أثرت هذه الآثار المتنوعة و المستوعبة لكل جهات وجودك.

ثم نسبت الربوبية إلى نفسك كفرد (ربى)، لتؤكد على أن هذا التنزيه و الحمد هو منك على الحقيقة، لأن التربية كانت تتوحي شخصك مباشرة، و ليست أمرا بعيدا عنك قد استهدف الحياة فى مجالها العام.

و خلاصة الأمر: إن التسبيح بالحمد يكون تنزيها مستدلا عليه بالدليل الحسى، لأن الحمد يدل التزاما على أن صفات الله سبحانه قد تجسدت بآثارها، و أصبحت واقعا حيا، و فعلا اختياريا يستحق الحمد و الثناء. فالدليل على نزاهة الله من النقص هو هذا الكمال المتجسد، و هو الراقية و الخالقية، و الشفاء و العطاء و الرأفة الفعلية.

فلم يعد الكمال مجرد دعوى، و إنشاء كلامى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٣

و قد تكرر التسبيح بالحمد فى كثير من الآيات: مثل قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ «٦٥»، وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ «٦٦»، و غير ذلك.

و ذلك كله يفسر لنا سرّ ترديدنا فى صلاتنا: سبحان ربى العظيم و بحمده.

لماذا تسبيحه كبيرة:

أما لماذا كانت هذه تسبيحه كبيرة تعادلها ثلاث تسبيحات صغار هى: سبحان الله - ثلاثا - فلعله لأجل: أن التسبيحه الكبيرة تضمنت ثلاثة تنزيهات لله تعالى:

التنزيه الأول: هو ما تضمنته كلمة "سبحانه" من إنشاء للتنزيه و تفوه به.

التنزيه الثانى: أنها نسبت التنزيه لكلمة "رب" التى تلمح إلى دليل ذلك التنزيه و هو التربية و الرعاية الإلهية، التى تحتاج فى تحققها إلى العديد من الفيوضات و العنايات المستندة إلى صفات إلهية جمالية و جلالية متنوعة و كثيرة، كالعلم، و الحكمة، و الرحمة، و القوة و الغنى، و الحياة، و القيومية و غير ذلك. و هذا

(٦٥) سورة النصر، الآية ٣.

(٦٦) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٤

التنزيه أشد من التنزيه بمجرد نفي النقص، لأن إثبات تلك الصفات معناه إثبات شىء زائد على الكمال أيضا.

ثم نسبت هذه التربية إلى نفسك "ربى" لتؤكد على أن شخصك هو المعنى بهذا التنزيه، لأنه كان المعنى مباشرة بالتربية.

ثم جاء وصف الله بالعظيم ليؤكد على ثبوت تلك الصفات له تعالى بصورة أتم و أعلى، أوجبت وصفه بالعظمة.

التنزيه الثالث: قوله: و بحمده. أى و أسبح بواسطة الحمد. حيث إنها تماما مثل كلمة "رب" قد أظهرت: أنه تعالى قد فعل تجاهك

باختياره ما هو جميل و حسن، صادر عن صفة جمال أو كمال ثابتة فيه تعالى. مما دعاك إلى إنشاء هذا الحمد و الثناء. فإثبات صفة الكمال أيضا بالحمد قد نزه الله عن النقص، و أثبت أمرا زائدا على الكمال و هو ما يوجب جمالا أيضا. فهذه التنزيهات الثلاثة تصبح أقوى في الدلالة على التنزيه من كلمة سبحان الله، مجردة، فكانت تلك تسيحة كبيرة، تعادل ثلاثة تسيحات صغيرة، بل و تزيد عليها. لأنها دعوى للشئ مع دليله، و تثبت ما هو فوق التنزيه عن الشريك و عن النقص و غير ذلك، و لا سيما بملاحظة ما توحى به كلمة "العظيم".

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٥

شمولية كلمة: رب

و أخيرا، فإن "رب": كلمة تستبطن جميع أسماء الفعل للذات الإلهية المقدسة، لأن ربوبيته تعالى من موقع تدييره. و هو يقتضى أن يكون حكيما، عليما، قادرا، خالقا، شافيا، الخ ..

العالمين:

إشارة

العالمون: جمع لا واحد له من لفظه و ليس جمع عالم، كما زعم بعضهم. بدليل: أنهم قالوا: إن جمع المذكر السالم هو ما كان جمعا لمذكر عاقل. و العالم ليس مذكرا و لا عاقلا، فليس العالمون جمعا له، و إن كان قد جاء على صورة الجمع فألحقوه به في الإعراب إلحاقا. قال ابن مالك في ألفيته، عن جمع المذكر السالم و إلحاق بعض الألفاظ به:

و ارفع بواو و بيا اجرر و انصب سالم جمع عامر و مذنب
و شبه ذين و به عشروناو بابه الحق و الأهلونا
أولوا و عالمون عليوناو أرضون شذو السنونا

أضف إلى ما تقدم: أن كلمة "عالم" يراد بها كل هذا الوجود بما فيه، فإذا أردت أن تجمعها، فلا بد من تقسيمها إلى أشياء صغيرة، كعالم النبات و عالم الجماد، و عالم الحيوانات و عالم ..

ثم تجمع هذه الأشياء، و مع ذلك فإن الجمع لن يتجاوز مفردة في شموليته، لأن المفرد يشمل كل شئ في الوجود، و الجمع - تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٦

و الحالة هذه - قد لا يشمل كل شئ. فيكون الجمع أخص من المفرد أحيانا، أو مساويا له على أبعاد تقدير، و كلاهما لا يصح.

ما المقصود بالعالمين:

إشارة

و هنا سؤال؛ و هو:

هل المقصود بالعالمين هو كل الموجودات و المخلوقات؟ أم المقصود نوع خاص منها؟

و هل تشمل الجن و الملائكة. بل و حتى سائر الموجودات الأخرى، على فرض أن لها درجة من الشعور و الإدراك؟ أم لا تشمل شيئا من ذلك؟

و نقول:

هنا جوابان، الأول منهما يصلح مقدمة للجواب الثاني، و هما:

أولاً: التربية للعالمين:

إشارة

إن المقصود بالعالمين معنى يتناسب مع أمر التربية، والانتقال من حالة النقص إلى حالة الكمال، إذ لا يمكن تربية ما يفقد القابلية للتحويل والرقى والانتقال. وقد دلت الآيات على أن الجمادات، بل جميع الموجودات أيضاً، لها درجة من الشعور، تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٧

والإدراك، بحيث تستطيع تسيح الله؛ قال تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٦٧﴾. وقال: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴿٦٨﴾. ولم يقل: يسبح من. فإن "ما" تستعمل لغير العاقل. وكلمة "من" للعاقل.

وقال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٩﴾.

وثمة آيات عن سجود الموجودات. وهي كثيرة ﴿٧٠﴾. وثمة آيات تحدثت عن دور عاقل للنملة، وللهدد، وتجلي الله للجبل، فجعله دكا. وخشوع الجبل و تصدعه من خشية الله وغير ذلك.

﴿٦٧﴾ سورة الإسراء، الآية ٤٤.

﴿٦٨﴾ سورة التغابن، الآية ١.

﴿٦٩﴾ سورة الأحزاب الآية ٧٢.

﴿٧٠﴾ سورة النحل، الآية ٤٩. و سورة الرحمان، الآية ٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٨

وقد نلمح في القرآن أن جميع الكائنات قابلة للتربية وللتكامل، حيث أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى ربوبية و رعاية الله تعالى للجمادات أيضاً.

قال تعالى: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا * ﴿٧١﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ * ﴿٧٢﴾ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * ﴿٧٣﴾. وغير ذلك من آيات كثيرة قررت هذه الربوبية.

إلا أن يقال: إن ربوبية كل شيء و تكامله إنما هو بحسبه، و من خلال ما يملك من معطيات.

أو يقال: المراد بالرب هنا الإله.

و نقول: إن هذا الاحتمال الأخير يحتاج إلى ما يثبتته.

و نشير هنا إلى أمرين:

الأول: سجود المخلوقات و تسبيحها ليس تكوينيا.

وقد حاول البعض أن يقول: إن هذا التسبيح إنما هو من حيث أن وجودها و عجيب خلقتها فيه تنزيه لله سبحانه عن كل نقص، و عن الشريك و غير ذلك، فهي تسبحة تعالى بلسان التكوين. و تسجد له بمعنى تخضع له تكويننا أيضا .. و عرض

(٧١) سورة ص الآية ٦٦. و سورة الصافات الآية ٥.

(٧٢) سورة المزمل، الآية ٩.

(٧٣) سورة المؤمنون، الآية ٨٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٧٩

الأمانة إنما هو تصوير رمزي لعدم قدرة هذه الموجودات تكويننا أيضا.
و نقول:

إن هذا التوجيه غير صحيح، فإن قوله تعالى: **وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**، يدفعه و ينافيه، إذ أن هذا التفسير معناه:
أنا نفقه تسبيحهم!؟

و كون السجود بمعنى الخضوع التكويني فقط، ينافيه قوله تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعِذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** (٧٤).

فقوله "و كثير من الناس" دليل على أن المراد بالسجود ليس هو الخضوع و الانقياد التكويني. فإن الناس جميعهم يخضعون تكويننا له تعالى.

و آية الأمانة أيضا لا يصح تفسيرها بما ذكر، لأنه تعالى يقول "و أشفقن منها" و الإشفاق، إنما هو انفعال نفساني خاص، و ليس خضوعا تكوينيا.

(٧٤) سورة الحج، الآية ١٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٠

إذن فنحن أمام حقيقة قرآنية هي: أن جميع المخلوقات لهد درجة من الشعور و الإدراك، بحيث تسبح الله، و تسجد له، و تشفق من بعض الأمور، و تقبل و ترد بالاختيار و الإرادة. و لكن كيف يتم ذلك!! هذا ما لا نعلمه، و قد لا يتسنى لنا العلم به و بحقيقته و كنهه، و مستوياته.

الثاني: تكامل الإدراك و الشعور و مستواه:

و يبقى أمامنا سؤالان: الأول: عن مستوى و درجة شعور و إدراك الموجودات، من الجماد و النبات، و غيرهما.

الثاني: هل هذا الإدراك و الشعور فيه قابلية النمو و التحول. أم أنه مقفل و محدود في هذه الناحية؟

و الجواب على كلا السؤالين هو: أننا لا نملك الكثير من المعطيات التي تجعلنا قادرين على إعطاء إجابة قاطعة في هذا المجال.

بل إن أكثر ما نعرفه في هذا المجال، هو نفس ما حدثنا عنه القرآن الكريم، و نبي الإسلام العظيم. و لأجل ذلك فنحن لا نشجع كثيرا

للبحث في هذا الأمر، لأننا غير قادرين على إغناؤه بالشواهد و الدلائل التي نتجاوز من خلالها حدود المعارف التي رآنا الله أهلاً لأن يخاطبنا بها في آياته الكريمة، و على لسان نبيه العظيم.

و لم يذكر لنا أكثر من كونها لها درجة من الشعور، و أنه تعالى رب لكل شيء أما كيف؟ و إلى أي مستوى؟ و أي حد؟ فذلك ما لم يفصح لنا عنه القرآن الكريم.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨١

ثانياً: العالمون خاص بالبشر:

إشارة

إننا إذا تتبعنا الآيات القرآنية نجد: أن كلمة العالمين تستعمل غالباً في خصوص البشر العقلاء، كقوله تعالى:

وَ اضْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ «٧٥».

وَ أَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ «٧٦».

صُدُّورِ الْعَالَمِينَ «٧٧».

إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا، وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ، وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ «٧٨».

وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ «٧٩».

ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ «٨٠».

أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ «٨١».

(٧٥) سورة آل عمران، الآية ٤٢.

(٧٦) سورة البقرة، الآية ٤٧.

(٧٧) سورة العنكبوت، الآية ١٠.

(٧٨) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

(٧٩) سورة آل عمران، الآية ١٠٨.

(٨٠) سورة الأنعام، الآية ٩٠.

(٨١) سورة الحجر، الآية ٧٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٢

آيَةٌ لِلْعَالَمِينَ «٨٢»

مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ «٨٣».

لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ «٨٤».

و موارد كثيرة أخرى ظاهرة في ان المقصود بالعالمين هم البشر، لقرائن فيها، مثل كونها مجتمعات فيها نساء، أو ظلم، أو تعذيب، أو ذكر، أو نحو ذلك.

استدلال لا يصح:

أما قوله تعالى؛ حكاية لقول فرعون و موسى عليه السلام قال فرعون: وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا «٨٥». وكذا قوله تعالى: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «٨٦». فقد تخيل بعضهم: أن المقصود بالعالمين في هذه الآية هو ما يشمل السماء و الأرض، فتكون لغير العاقل. و لعله لأنه رأى أنها بدل مما قبلها.

(٨٢) سورة الأنبياء، الآية ٩١.

(٨٣) سورة المائدة، الآية ٢٠.

(٨٤) سورة المائدة، الآية ١١٥.

(٨٥) سورة الشعراء، الآية ٢٣.

(٨٦) سورة الجاثية، الآية ٣٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٣

وقد أكد هذا الأمر فرعون باستعماله كلمة "ما" التي تستعمل بالأصل في غير العاقل.

و نقول: إنه تخيل باطل، فأما بالنسبة لكلام فرعون، فهو يريد أن يوهن و يحقر مقام الربوبية الذي يتحدث عنه موسى، و يظهر للناس أنه رب غير عاقل، و لا يصلح لأجل ذلك للربوبية، ليثبت للناس: أنه هو ربهم الأعلى.

و أما كون كلمة "رب العالمين" بدلا مما قبلها، فذلك لا يضر، ما دام انه يمكن أن يكون موسى عليه السلام قد أراد التعبير عن هذا الرب بذكر ميزات عديدة له ليدفع أى لبس أو اشتباه، فذكر ربوبيته للسماء و الأرض، و للعقلاء أيضا- و هم العالمون- فليست الآية بصدد إجمال ما تقدم بجميع خصوصياته.

ربى أم رب العالمين:

و أما لماذا لم يقل: الحمد لله ربى، أو ربنا. بل قال: رب العالمين، فلأنه تعالى يريد منا: أن نحيا حياة اجتماعية و يعين بعضنا فى مسيرتنا نحو الكمال، إذ لا يكفى التكامل الفردى و الشخصى، فيكون الناس أفرادا، يحيون حياتهم الخاصة منفصلين تمام الانفصال بعضهم عن بعض.

فالله يتعامل معنا من موقع المربي للعالمين جميعا، و علينا أن نتعامل معه من موقع الاستجابة لهذه التربية و بمرونة اجتماعية عامة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٤

و إن كانت محدودة وفق ما يتوافر من إمكانات و طاقات، لا من موقع فرديتنا، و لأجل ذلك نجده تعالى يركز على هذه الناحية، فهو رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * «٨٧» وَ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * «٨٨» وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ * «٨٩».

الكون المتوازن:

و نحن إذا دققنا النظر فى هذا الكون الفسيح، فإننا لا نجد سوى التوازن الدقيق و الانسجام و التناسق الظاهر فى كل مزاياه و زواياه، و الكل يسير باتجاه الهدف المحدد- كل ميسر لما خلق له- و لا يتخلف عن هذا الأمر إلا هذا الإنسان الذى يتعامل الكثيرون من أفراد

بخصوصيتهم الفردية و الشخصية، و من منطلق الأنا.

و لنضرب مثالا توضيحيا لما نريد تقريره هنا:

لنفترض شجرة تنمو وسط مجموعة من مثيلاتها في حديقة أو بستان.

(٨٧) سورة الشعراء، الآية ٢٦. و الصفات ١٢٦.

(٨٨) الآيات القرآنية المتضمنة لهذه العبارة كثيرة جدا.

(٨٩) سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٥

فلهذه الشجرة- من جهة- خصوصيتها الفردية، و إبحاؤها الشخصى كشجرة. فيمكن أن نفترضها و الحال هذه تنمو بصورة عشوائية تضرب بجذورها و فروعها فى كل اتجاه باحثه عن كمالاتها الفردية هنا و هناك. بحيث قد تصل فى امتداداتها و تشعباتها إلى حدود و مستويات تحجب معها عن مثيلاتها التى بالقرب منها نور الشمس، و الغذاء و الماء، و تنشر الضعف و الشلل فى ما يحيط بها، و تزرع و تثير الفوضى، و التشويه الجمالى، و العشوائية فى الإيحاء العام للبستان كله.

و لها خصوصية من حيث كونها جزءا من التركيبة الجمالية، و الإيحاء العام للحديقة أو البستان. و هذه الناحية تفرض درجة من التهذيب و التشذيب، و صياغة غصونها و سائر عناصر شخصيتها بطريقة لها إيحاءاتها الجمالية التى تتناغم مع إيحاءات مثيلاتها، التى تشاركها فى صياغة حالة جمالية جديدة و عامة. و حينئذ لا بد أن نطلب من البستاني أن يتدخل ليتدارك أى خلل قد يطرأ على الناحية الجمالية العامة، فيبدأ عملية التشذيب بل و الاستئصال أحيانا لشجرة تمثل حالة فردية شاذة لا تتسجم مع المحيط العام.

و تؤدى إلى اختلال التوازن، و الفوضى، و التشويش فى ملامح الصورة البستانية، و أهدافها و معطياتها.

و نتيجة لذلك التشذيب و التهذيب، تعود للحديقة جماليتها، و للبستان رونقه، و تسهم تلك الشجرة- إذا استطاعت

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٦

المشاركة- فى صنع ملامح تلك الصورة. و تسهم فى الإيحاء المطلوب فى مسيرة تكاملية، و مشاركة جماعية فى صنع وضع جماعى سليم، و طبيعى و قويم.

و كذلك الحال بالنسبة للحياة الإنسانية أيضا. و قد جاءت هذه الآية الشريفة "رب العالمين" لتوحى بذلك كله فى عملية توجيه عفوى لهذا الإنسان نحو المشاركة فى صنع هذا الواقع الاجتماعى للإنسان فى حياته العامة. و هى بمثابة دعوة له لصنع التوازن و الانسجام فى محيطه العام خلال مسيرته الإنسانية التكاملية؛ فيصوغ حياته و إنسانيته و خصائصه بطريقة تحتفظ معها بفرديتها، و لكنها تتسجم و تتوازن و تتكامل مع كل ما يحيط بها، و لا تصطدم معه، بل تشكل هى و إياه رافدا للخير و العطاء، و السمو و التكامل و النمو.

و قد تفرض هذه المشاركة الإيجابية الواعية و المسؤولة قدرا من التضحية من بعض الناس، فيتخلون عن خصائص و امتيازات شخصية و فردية لهم غالية و حبيبة، تكون هى الثمن لما تنعم به المجتمعات من سعادة و رخاء، و وئام و صفاء.

الألوهية و الربوبية معا:

و حين يستقر في وعى الإنسان: أن ثمة خالقا مدبرا لهذا الكون فإنه يدرك: أن هذا الخالق قوى، و غنى و عظيم، و قهار و ما تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٧

إلى ذلك من صفات ألوهية، تعنى مزيدا من الإحساس بالبون الشاسع، فيما بين هذا الإنسان الضعيف، العاجز، المحتاج، الخ .. و بين ذلك الإله الخالق العظيم، و قد يتحول هذا الإحساس بالبون- بصورة لا شعورية- إلى إحساس بالبعد عنه، و بانقطاع العلاقات و الروابط معه أيا كانت «٩٠».

و لأجل ذلك نلمح مزيدا من الإصرار فى الآيات القرآنية على تجسيد العلاقة بين الله و بين العباد، كواقع حى، يتلمسه هذا الإنسان بأحاسيسه الظاهرة قبل الباطنة. فى كل حين، و فى كل مجال.

كما أن ثمة تركيزا واضحا على تكوين شعور قوى و عميق بربوبيته سبحانه لهذا الإنسان، و رفقه به، و رعايته له من موقع

(٩٠) و قد تجلت سلبيات هذا الشعور حين تحول إلى انحراف فكرى خطير جدا حين قالت بعض الفرق: إن الله قد كتب ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، و لم يعد قادرا على أى عمل، و لا يستطيع التدخل لتغيير أى شىء بل هو محكوم بقدره مغلول اليد، كما قالت اليهود: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا).

فهو تعالى قد أوجد الخلق و انته دوره، و بطل تأثيره. فلم تعد النظرة إليه من المخلوقين- على أساس هذه النظرة المنحرفة- من موقع الحاجة. و لم يعد لصفاته تأثير. فتعطلت و انتهت و بطل مفعولها. و لم يعد الكريم، و الرحيم، و العطوف، و الخ ..

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٨

المحبة، و الرعاية و التدبير لكل شؤونه على أساس الحكمة و الإشراف و الهيمنة.

فالله أوجدك، و لا يزال يرعاك، و يهتم بك، و يدبر شؤونك، و أنت لا تزال بحاجة إليه، و تتعامل معه من موقع حاجتك و غناه، و ضعفك و قوته، فهو يعينك شخصيا فى كل آن، و فى كل مكان. إنه هو الذى يحميك، و هو الذى يحضنك، و يرشدك، و يهديك، و هو الذى يرزقك، و يشفيك و هو الذى يرعاك و يرييك.

و من باب ربوبيته لك تنفتح على كثير من صفات الجمال فيه، فهو الراحم و العطوف، و الحكيم، و الحنان، و المنان. و هذا كله سيجعلك تتعامل معه بروح الود و المحبة، و الحميمية و الصفاء، و الامتنان و الوفاء.

نتائج ثلاثة:

و نستنتج من ذلك الأمور التالية:

إن التعامل الصحيح مع الله ليس على أنه موجد و حسب، بل على أساس أنه موجد، و مرب، لا يزال يرعى، و يحفظ، و لسوف نبقى بحاجة إلى ذلك.

إن إحساسنا بالحاجة إليه و إلى رعايته و تربيته لنا يتطلب منا أن نؤهل أنفسنا لهذه التربية، و نستعد لها، و نتجاوب معها. فلا

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٨٩

نشعر بالامتلاء و الشبع، و عدم الحاجة إلى المزيد من الكمال و السمو. لأن شعورا كهذا معناه منع تلك الرعاية، و الهداية الإلهية من التأثير، و بالتالى الإحتجاب عن الفيوضات الإلهية الضرورية لذلك.

بما إن الإنسان يحب نفسه، و يحب الكمال لها، فهو يحب الجهة التى تساعدها و ترعاها، و تسعى لرفع نقائصها لتنال ذلك الكمال المنشود. فإذا عرف و شعر- عمليا- أن الله سبحانه هو الذى يتولى ذلك من موقع المعرفة، و الحكمة، و الرحيمية، و القدرة، فلسوف

يتجه إليه سبحانه، و يرتبط به، على أساس الاعتراف بالنقص، و بالحاجة، و العرفان بالفضل، ثم هو يتعامل معه من خلال صفات الألوهية و الربوبية التي يجد فيها ما يغنيه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩١

تفسير قوله تعالى: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

إشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩٣

الرحمن الرحيم: مرة أخرى:

و قد اتضح مما تقدم: أن قوله "الرحمان الرحيم" بعد قوله: الحمد لله رب العالمين. قد جاء في موقعه الطبيعي. فإنه تعالى إنما يرعى الإنسان و يريبه بصورة متوازنة، لا يهمل جهة فيه على حساب أخرى. فيرزقه حيث يحتاج إلى الرزق، و يشفيه حيث يحتاج إلى الشفاء، و يعمل قدرته في موضع القدرة و رحمته في موضع الرحمة و العلم و الحكمة، و الخ .. كل في موقعه.

و هذه هي أفضل رعايته، و أمثل تربيته. يصل الإنسان من باب الرحمة إلى الربوبية، و من الربوبية إلى صفات الألوهية. و إنما دخلنا إلى الربوبية من باب الرحمة، لأن الرحمة - كما قلنا سابقاً - إنما هي نتيجة ملاحظة نقص أو ضعف، أو عجز لدى الآخرين، يدفع إلى التحرك باتجاه رفع هذا النقص، أو العجز أو الضعف. و هذا بالذات هو مورد التربية، التي هي الانتقال التدريجي لنا من حالة نقص أو ضعف أو عجز إلى حالة كمال و قوة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩٤

أعلى منها و أتم. و يكون ذلك بدافع من رحمة و عطف تشأ عن مشاهدة ذلك الضعف و العجز.

فيصبح قوله تعالى: الرحمان الرحيم، نتيجة طبيعية لقوله:

رب العالمين.

أليست المرأة تهتم - عادة - بتربية طفلها، و تلبية حاجاته، و الحفاظ عليه، و تتحمل الأذى الكثير و الكبير في سبيل ذلك؟! إن ذلك ليس نتيجة شعورها بالواجب الشرعي أو القانوني الملح. بل لأنها تلاحظ عجزه عن الأكل و الشرب، و عن الحركة، و عن دفع الحر و البرد و سائر الأخطار عن نفسه، فتندفع بدافع من الشعور بالرحمة و العطف لرفع هذا النقص فتحميه و ترعاه و تسهر عليه. إذن، فمجرد الشعور بالنقص لدى الآخرين لا- يكفي للتحريك باتجاه رفعه، إذ قد يلتذ البعض برؤية آلام الآخرين. بل لا بد من الانفعال الإيجابي تجاهه، و هو ما نسميه بالرحمة.

النقص حقيقي و أساسي:

فتشير كلمة "الرحمان الرحيم" إلى أن هذا النقص ليس بعد تحقق أصل الكمال، ليكون نقصاً لما هو زائد عن حد الكمال، كان ينبغي أن يضاف إليه. و إنما هو حاجة و ضعف و نقص عن حد الكمال نفسه. و إلا، فلو كان الكمال حاصلًا، و النقص

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩٥

و الضعف إنما هو في عدم نيل الزائد عنه فلا يبقى هذا المورد مصداقاً و محلاً للرحمانية الشاملة، و لا للرحيمية الثابتة و الراسخة و الدائمة.

ثبات واستمرار الرحمة:

و لا بد من هذا الدوام و الاستمرار للرحيمية بالنسبة لهذا الإنسان، لأن كل شيء إذا وصل إلى درجة كماله؛ فإنه قد يبقى ثابتا عليها، إلا- الإنسان، فإنه دائما في معرض النقص بسبب أنه يملك غرائز و شهوات و طموحات قد تزل قدمه، و تجره إلى المخاطر بل المهالك. فهو بحاجة إلى استمرار هذه الرعاية، و دوام إفاضة الألفاف عليه، حتى و هو في أقصى حالات كماله.

دوافع التربية و الرعاية:

ثم إن هناك رعاية و تربية من موقع الأنانية الشخصية للمربي، حيث يرى أن ثمة نقصا يعود إليه. و ذلك مثل تربية الأولاد، فإنها قد تكون أحيانا بسبب أنانيتنا المهيمنة على مشاعرنا. و لكن رعاية الله سبحانه لنا، هي محض التفضل، و محض الرحمة، و محض الخير.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩٦

فاتضح من جميع ما تقدم أن "الرحمان الرحيم" كانت هنا هي النهاية، كما كانت "الرحمان الرحيم" هي البداية في آية "بسم الله الرحمان الرحيم" و ما أوجنا لهذا الأمر، و ما أشد غفلتنا عنه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩٧

تفسير قوله تعالى: مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩٩

المعاد مشكلة حقيقية للمشركين:

و قوله تعالى: مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ قد أشار إلى أصل مهم جدا من أصول الدين. و هو المعاد، و القيامة، حيث الحساب و الجزاء، و الثواب و العقاب.

و هذا هو الأصل الأكثر حساسية، و الذى كان يثير حفيظة المشركين، و يخرجهم عن أدنى حالات التوازن.

فلماذا هذه الحساسية المتناهية منهم تجاه هذا الأصل يا ترى!؟

للإجابة على هذا السؤال نقول:

إن المشركين و إن كانوا يتمسكون بعبادة الأصنام، إلا أنهم ما كانوا حريصين على عبادتها و على رفض التوحيد إلى درجة أن يضحوا فى سبيلها بالمال و الرجال، و الأهل و الولد، و بكل شيء.

و لم يكن الاعتقاد بالله عز و جل و بأنه خالق رازق، رحيم، عزيز الخ .. بالأمر البعيد عن أذهانهم، و قد أشار تعالى إلى ذلك، فقال:

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٠

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ .. «٩١».

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ .. «٩٢».

بل إن عبادتهم الأصنام لم تكن تعنى لديهم رفض عبادة الله، بل كانوا يرون أن عبادتها توصل إليه تعالى، قال سبحانه:

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى «٩٣».

نعم، هم كانوا يرون أن للأصنام نوعا من التأثير فى أوضاعهم، فهى تؤثر فى سعة رزقهم، و شفاء مرضاهم، و فى دفع أعدائهم، و فى

حل مشاكلهم.

فلو أنهم عدلوا عنها إلى الاعتقاد بأن الله سبحانه هو الذى يتولى هذه الأمور و غيرها لهم، فهو الذى يرزقهم و يشفيهم، و يدفع أعداءهم و يحل مشاكلهم. فإنهم سوف لن يرفضوا ذلك و لن يقاوموه بهذه الشراسة.

(٩١) سورة العنكبوت، الآية ٦١. و راجع: سورة لقمان، الآية ٢٥. و سورة الزمر، الآية ٣٨. و سورة الزخرف، الآيات ٩ و ٨٧.

(٩٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٣.

(٩٣) سورة الزمر، الآية ٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠١

كما أن اعتقادهم بنبوته النبى لم يكن يمثل لهم مشكلة كبيرة أيضا. و ما اسهل عليهم أن يعتقدوا أن محمدا يكلم من السماء لو كان الأمر يقتصر على ذلك. بل لقد عرضوا على النبى (ص) أن يملكوه عليهم، و يعطوه الأموال، و يزوجه من شاء. فالقضية إذن بالنسبة إليهم ليست قضية الجاه و المقام النبوى للنبي (ص)، و حسب.

و لكن المشكلة كل المشكلة، و الكارثة الحقيقية بالنسبة إليهم، و علة العلل فى رفضهم الانقياد للنبي (ص) هى الاعتقاد بالمعاد، و بيوم الدين، و الجزاء و الحساب، و الثواب و العقاب، و هى المشكلة التى تحدث عنها الله هنا بقوله "مالك يوم الدين". و لا يقتصر ذلك على المشركين بل يشاركهم اليهود فى هذا الأمر أيضا. فإن حاكمية الله ليوم الدين هو الموضوع الأكثر حساسية، و الأكثر إثارة لهذين الفريقين من الناس، لأنه هو الموضوع الأكثر حيوية، و ملامسة لحياء الإنسان، بكل تفاصيلها حتى أخص الخاص منها.

لأن الاعتقاد بالحساب و بالدينونة يقتضى منهم أن يرتبوا حياتهم من جديد، بطريقة تؤدى إلى السلامة الحقيقية فى يوم الدين. و يخرج القرار من يدهم فى كبير الأمور و صغيرها، و يجعلهم ملزمين بامتثال أوامر الله، الذى عرفوا بعضا من صفات ألوهيته و ربوبيته، ككونه حيا قيوما، عالما، قادرا، رازقا الخ ..

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٢

إن هذا الاعتقاد يخلق لدى الإنسان شعورا مختلفا (لا يخلقه الاعتقاد بالتوحيد، أو بالنبوته، أو بغير ذلك) و هو اعتقاد له آثار عملية، لأنه يجعل الإنسان يشعر بأنه مطالب و محاسب و مسؤول عن كل ما يصدر منه، و ليس حرا فى أن يفعل كل ما يحلو له، بل عليه أن يعيد النظر فى كل كبيرة و صغيرة فى حياته، حتى فى أمور الاعتقادية فى أدق تفاصيلها، و فى سلوكياته، فى صغيرها و كبيرها على حد سواء، و فى مشاعره، و علاقاته، و ارتباطاته العاطفية، و فى كل شأن، و فى كل شىء يمكن أن يطالب به فى يوم الحساب. و من خلال الاعتقاد بيوم الدين يفتح هذا الإنسان على الله، و على صفاته. خصوصا: عليم، جبار، منتقم، عزيز .. لمن يكون طاغيا مستكبرا، متمردا و قاسيا. فيتراجع: ليدخل من باب الرحمان الرحيم إلى: الثواب الغفور، الودود و ينتهى إلى الحمد على تربيته و رعايته له، و ينال الشعور بالأمن مع الله، و مع صفة المؤمن، و البر، و السلام.

و إن لم يتراجع هذا الإنسان. فلسوف يعيش حالة الإحباط، و اليأس، و الخسران أمام صفات المنتقم، الجبار، العزيز الخ .. فالاعتقاد بيوم الدين هو الأساس، فى شعور الإنسان بالمسؤولية عن التغيير فى كل حياته، و ليدخل فى دائرة التعب و الانقياد الحقيقى لله، و الانصياع لكل أمر و نهى و نفى أى عبودية

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٣

لغيره تعالى: من شخص أو مقام، أو مال، أو هوى، أو صنم، أو شىء له تأثير بدرجته ما على سلوك و مواقف الإنسان، حيث لا بد أن يكون التأثير لله وحده، و العبودية الخالصة له تعالى دون غيره. ثم يطلب الاستعانة المطلقة به، و الهداية منه كما سنوضحه.

ولهذا نجد أنهم حينما ظهر الإسلام في مكة، كانت ثورتهم الحقيقية والعارمة ضد الإيمان بالمعاد والجزاء والقيامة. لأنها تستهدف التغيير الكامل والشامل في كل شيء في حياتهم. ومما زاد في حنقهم أنهم رأوا تجد آذانا صاغية لدى الكثيرين، فزاد خوفهم و رعبهم. ولذلك نجد أن القرآن الكريم لم يزل يؤكد على البحث والجزاء والقيامة. ويضرب لهم الأمثال الإقناعية لذلك ولا يزيدهم ذلك إلا إصرارا وجحودا وعنادا.

قال تعالى: **إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** «٩٤».

وقال سبحانه: **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** «٩٥».

(٩٤) سورة المؤمنون، الآية ٣٧.

(٩٥) سورة يس، الآية ٧٩ و ٧٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٤

وقال عز وجل: **أَوْ لَمْ يَرَوْا: أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** «٩٦».

وقال عز شأنه: **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ** «٩٧».

ثم بين سبحانه سبب إنكارهم ليوم القيامة، فقال: **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَّامَةِ. أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلَنُّ نَجْمَعِ عِظَامَهُ؟ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِّي بَنَانَهُ. بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ ..** «٩٨».

إذن، فهم ينكرون يوم القيامة؛ لأنهم يريدون أن يبرروا فجورهم وانحرافهم، وكل تصرفاتهم. وأن يبرروا إصرارهم على مواصلة هذا الفجور في المستقبل.

وبعد كل ما تقدم فإننا نعرف سبب شدة اليهود والمشركين في عداوتهم لأهل الإيمان. قال تعالى: **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ**

(٩٦) سورة الأحقاف، الآية ٣٣.

(٩٧) سورة يس، الآية ١٢.

(٩٨) سورة القيامة، الآيات ١-٧.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٥

عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا «٩٩». فإن توراتهم تلك المحرّفة لم تتعرض ليوم القيامة أبدا. نعم قد تحدثت في مورد عن وادي الهلاك. ولذلك نجد أن اليهود عموما لا يعتقدون بيوم القيامة، والذين يعتقدون به منهم فإنهم ليس لديهم بالأمر الواضح في مغزاه ومرماه وفي تفاصيله. ولذا فإن اليهود يرون أن خسارتهم للدنيا لا يعوضها شيء، فكانت الدنيا كل همهم، وكانوا: **أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ** «١٠٠» مهما كانت تافهة وحقيرة.

ثم جاءت تعاليمهم لتزيد من غرورهم، ومن إحساسهم بفرديتهم التي عبر عنها القرآن بقوله: **بَأْسِهِمْ يَتَنَبَّهْم شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى** «١٠١». فزاد ذلك من حبهم للدنيا، وزاد من كرههم لأهل الإيمان؛ لأنهم هم الذين تخلوا عن خصوصياتهم الفردية ليدوبوا في المجتمع، وليكونوا قوة حقيقية يخشاها اليهود أشد الخشية، ولذلك عادوها أشد العدا حتى أكثر من عدا المشركين. ولذلك ذكرهم الله قبل أن يذكر المشركين:

اليهود والذين أشركوا.

(٩٩) سورة المائدة، الآية ٨٢.

(١٠٠) سورة البقرة، الآية ٩٦.

(١٠١) سورة الحشر، الآية ١٤.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٦

و يلاحظ أنه لم يقل: اليهود، والمشركون. وذلك ليشير إلى أن الشرك قد جاء على خلاف الفطرة، وقد خرجوا بشركهم عن فطرة الله باختيارهم.

أي أنواع المالكيات لله تعالى؟

و أما لماذا قال تعالى: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ و لم يقل:

المحاسب أو المجازى يوم الدين.

فالجواب هو: أننا نجد أن المالكية على أنواع:

المالكية الاعتبارية: وهى التى تنشأ من تصميم العقلاء الذى لهم صلاحية إنشاء اعتبار كهذا، فوجود هذا النوع من المالكية قائم بوجود الاعتبار والقرار. وينشأ عنه إطلاق التصرف للمالك فى مورد اعتبار الملكية، وهذه التصرفات يمكن تحديدها بحدود و تقييدها بقيود، كمنع الإسراف، أو الإتلاف، أو التعذيب لذى الروح من دابة أو عبد مملوك.

و يمكن سلب الاعتبار عن أنواع بخصوصها، كالميتة، والخمر وغير ذلك.

أما بالنسبة لمورد الاعتبار فهو من حيث القيمة:

قد يكون غير ذى قيمة بنظر العرف. و ليس ملكا، كحبة تراب فى صحراء، حيث لا يملكها أحد، أو كقطرة من ماء البحر.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٧

قد يكون ملكا و مالا، و لكنه لا قيمة له، كحبة تراب أو حبة قمح فى أرض زيد من الناس، فإنها ملك له، و لكنها لا قيمة لها بنظر الناس.

قد يكون له قيمة، و هو ملك، و مال ..

و من جهة أخرى، فإن منشأ القيمة يختلف أيضا:

حيث إن قيمته قد تكون ناشئة من محض اعتبار العقلاء، لأغراض خارجة عن حقيقته و ذاته. كغرض التسهيل فى المعاملات أو لغير ذلك. فيعطونه القيمة أو ينزعونها لأجل ذلك. و ذلك مثل الأوراق النقدية، فإن ماليتها و ملكيتها متقومان باعتبار من لهم صلاحية إنشاء اعتبار كهذا. و هم الذين يتحكمون فى مستوى هذه القيمة، التى قد تعلق فى يوم، و قد تنخفض فى يوم بصورة كبيرة و خطيرة. و قد تزول بالكلية فى يوم آخر، مع أن الورقة النقدية لا تزال هى ذاتها لم تتبدل، و لم تتغير.

قد تكون قيمة المورد كامنة فى داخل ذاته و حقيقته، بسبب ما له بنفسه من دور حقيقى فى حياة الإنسان، و بسبب الحاجة الواقعية إلى الاستفادة من الخصوصية القائمة فى ذاته. فليست قيمته إذن ناشئة من مجرد الاعتبار و الجعل. و ذلك مثل البيت للإنسان، و مثل الغذاء و الدواء، و اللباس له. فالحاجة الواقعية إليه و خصوصيته الكامنة فيه، و التى يتطلبها الإنسان هى التى أعطته القيمة، ثم اعتبر من له حق الاعتبار و الجعل هذا الشئ ذا القيمة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٨

تفسير سورة الفاتحة ١٥٠

ملكاً لهذا الإنسان. و أطلق له التصرف فيه فى الحدود و القيود المعقولة، و المقبولة. التى لا توجب حيفا على الآخرين. و لا توجب

إحداث أى خلل فى مسار الحياة، فى مختلف جوانبها و حالاتها.

و هذا القسم هو الأهم من الأقسام التى سبقته.

المالكية الطبيعية: هذا النوع من الملكية أعمق، و أقوى من سابقه، بجميع أقسامه. و ذلك لما فيه من شدة الاختصاص، و قوة العلاقة، و عمق الحاجة. مع التذكير بأن هذه العلاقة و الاختصاص، لا تنشأ من الاعتبار، و لا من الحاجة أيضا. بل هى حالة واقعية ذاتية يبررها الحاجة إلى الكمال، و إلى فيض الوجود و تطب الكمال فيه. و ذلك مثل ملكيتك ليدك، و لرجلك، و لعينك، و لغير ذلك من جوارحك. و هذه الملكية قد تخضع لبعض الحدود و القيود، و قد تتوقف و تلغى من الجهة الأقوى، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

المالكية الحقيقية: التى تحدثت عنها الآية الشريفة:

"مالك يوم الدين" و هى المالكية الثابتة و الراسخة، التى لا ينالها ضعف، و لا وهن، و لا تقبل الانتزاع، و لا الاعتبار و لا التصرف أو التحديد، و التقييد فيها.

و هى المالكية المنبثقة عن ألوهيته تعالى، و ربوبيته و خالقيته لكل ما فى هذا الوجود، و إحاطته به و هيمنته الحقيقية و سلطته

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠٩

عليه الدائمة و الثابتة، و هى ألوهية و ربوبية ثابتة، و رعاية دائمة، و فيض مستمر، يكون به قوام الوجود و استمراره. و هذا ما يفسر عمق هذا المالكية و ثباتها و دوامها و رسوخها، و يشير إلى حقيقتها و كنهها.

و هو أيضا يجعلنا نفهم بعمق حقيقة: أنه تعالى مصدر كل المالكيات الأخرى. فهو يعطيها، و هو يلغيها، متى شاء و كيف شاء. قال تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ «١٠٢».

و قال سبحانه: مَالِكِ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ «١٠٣».

و قال جل شأنه: يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا، وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ «١٠٤».

و قال تعالى: أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ «١٠٥».

نعم، إن كل المالكيات الأخرى تزول و تتلاشى، حتى ملكيتنا ليدنا و لسائر جوارحنا. فلا يملك أحد لأحد ضرا و لا

(١٠٢) سورة غافر، الآية ١٦.

(١٠٣) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(١٠٤) سورة الانفطار، الآية ١٩.

(١٠٥) سورة يونس، الآية ٣١.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٠

نفعا، و لا يملك أن يدفع عن نفسه، و لا عن غيره بيد، و لا بلسان و لا بموقف، و لا برأى و لا بغير ذلك و يكون الله سبحانه فقط هو المتصرف و المهيمن، و المحاسب، و المجازى .. الخ ..

إن أحدا يوم القيامة لن يكون قادرا على التصرف بماله، و لا بقوته، و لا بمنصبه، و لا بموقعه الاجتماعى، أو السياسى، و لا بلسانه، و لا بيده، و لا بغير ذلك.

فله إذن حق التصرف فى كل شىء كيفما شاء و حسبما يريد، و من هنا يتضح أن كلمه "المجازى" أو "المحاسب يوم الدين" ليست هى الاختيار الأصلح و لا الأنسب فى الآية الكريمة.

يَوْمِ الدِّينِ:

إشارة

و أما بالنسبة لكلمة "يوم الدين" فإننا نقول: إنها تشير إلى الجزاء، و إلى الهيمنة الجزائية العادلة. لأنها فرضت وجود دين و جزاء مقابل عمل فهي إذن ليست هيمنة عشوائية ظالمة و معتدية، و متسلطة بلا مبرر.

و هي كذلك توحى بوجود عمل صحيح تارة و عمل فاسد تارة أخرى، لا بد أن يستتبع في كل حالة ما يناسبها؛ و هذا إحياء بالعدل؛ فلا يريد الله أن يظلم أو يعتدى على أحد. بل يريد أن يجازيك بحسب عملك؛ فأت السبب في كل ما يجرى لك و عليك، إذ كما تدين تدان. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١١

يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ «١٠٦» وَ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ «١٠٧».

إذن فكلمة "الدين" تشير و لو بطرف خفى إلى هذا العدل.

فهي إذن هنا أنسب من كلمة "القيامة" أو "يوم الحساب" و نحوهما لا سيما بعد تلك المسيرة الطويلة عبر النعم و الألفاظ الإلهية، بدء من بسم الله الرحمن الرحيم، و انتهاء بصفتي الرحمانية و الرحيمية.

لأن هذا "الدين" قد استبطن العدل من موقع كونه تعالى، حكيمًا. فإذا دخلت إلى محكمة يوم الدين من باب الرحمانية و الرحيمية، فإن باستطاعتك أن تجعل نتيجة هذه المحكمة لصالحك. إذا كنت ممن يستحق الرحمة.

مالكية الله سبحانه للدنيا:

و أما لماذا لم يشر الله سبحانه هنا إلى مالكيته للدنيا أيضا؛ فقد تقدم: أنه تعالى بعد أن أشار إلى رعايته و تربيته للعالمين من موقع الربوبية، قد أراد أن ينقل هذا الإنسان إلى يوم الجزاء، حيث يجد نفسه فاقدا لأي لون من ألوان المالكية. و لا يمكنه إلا أن ينقاد لإرادة الله سبحانه، حيث تجرى عليه أحكامه.

(١٠٦) سورة الزلزال، الآيتان ٧ و ٨.

(١٠٧) سورة الرحمن، الآية ٦٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٢

أضف إلى ذلك: إن الله سبحانه قد جعل للإنسان حرية و اختيارا في الحياة الدنيا، فلو أنه تعالى تحدث عن مالكيته فيما يرتبط بهذه الحياة فلربما توهم بعضهم من ذلك: إن ثمة نوعا من الجبرية الإلهية، و إن الإنسان حين يستخدم إرادته و اختياره يكون قد تمرد على الله، و اجترأ عليه. إذن فالتجلى للمالكية الإلهية يكون في يوم القيامة، حيث لا يملك الإنسان لنفسه نفعا و لا ضرا لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

الدين هو الجزاء:

أما ما ورد عن الأئمة عليهم السلام من: أن الدين هو الحساب. فمن الواضح: أنه من باب ذكر الملزوم و إرادة اللازم، فإن الدين هو الجزاء، ثوبا على الإحسان، و عقابا على الإساءة، و الجزاء إنما يكون بعد الحساب.

يوم:

و يبقى هنا سؤال:

إنه إذا كان اليوم هو مجموع الليل و النهار، و إذا كانت الشمس فى يوم القيامة سوف تكور (أى يذهب ضوءها) و لا يبقى ليل و لا نهار، فأى معنى يبقى لكلمة "يوم" فى قوله: يوم الدين؟! و الجواب عن ذلك: أن كل حادث زمانى يبقى زمانيا. سواء فى الدنيا أو فى الآخرة. و المراد باليوم هو القطعة من الزمان تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٣

(و لا يجب أن يشتمل الزمان على ليل و نهار) و قد تكون القطعة طويلة و قصيرة. قال تعالى: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (١٠٨). و قال: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (١٠٩).

و اليوم الذى فيه الليل و النهار هو اليوم الدنيوى. بل إننا حتى فى اليوم الدنيوى نجد أماكن يكون فيها الليل بمقدار ستة أشهر. بل قد يقال: إن بعض الأماكن لا تغيب عنها الشمس أبدا، أو تغيب عنها بمقدار ساعة واحدة مثلا. فإذا أراد سكان تلك البلاد أن يمارسوا عباداتهم من صوم و صلاة مثلا، فإن عليهم أن يراقبوا حالة أقرب البلاد إليهم و يعملوا على هذا الأساس.

و من جهة أخرى فإن لغة القرآن هى العربية، و هى اللغة التى وضع الناس مفرداتها للدلالة على أمور حسية فى بداية الأمر، ثم وضعوا ألفاظا للدلالة على المعانى القريبة من الحس. و هى التى يتلمسون آثارها، و يحسون بها. ثم بدأوا يتوسعون فى استعمالاتهم لها إلى ما هو أبعد و أدق، و ذلك بواسطة المجازات و الكنايات و الجرى و الانطباع، و الاستعارات، و بواسطة تركيب الألفاظ بطريقة معينة، لتدل على المعانى المطلوبة. فاستعمال كلمة يوم فى

(١٠٨) سورة المعارج، الآية ٤.

(١٠٩) سورة الحج، الآية ٤٧.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٤

القطعة من الزمن الممتد، الذى لا يشتمل على ليل و لا على نهار لا غضاضة فيه. و هو اللغة التى يمكن أن تستخدم لتعريف الناس بحقيقته ما يجرى فى تلك البرهة الحاسمة من تاريخ الإنسان الذى يقدم عليه.

مالك أو ملك:

و أخيرا: فإننا نلفت إلى ما يقوله بعضهم: من وجود قراءة أخرى لكلمة مالك، فيقرؤونها "ملك يوم الدين". فقد ذكرنا فى كتابنا "حقائق هامة حول القرآن" ما يفيد: أن القراءات إن كانت بمعنى اختلاف لهجات القبائل فى كيفية التلفظ بالحروف، مثل: حتى حين، و عتى حين. دون أن تختلف الصورة، و بلا تبديل للكلمات غيرها، و دون زيادة و لا نقص. فهذه القراءات تكون مقبولة إن كانت قد أمضيت من قبل النبى (ص) و الأئمة عليهم السلام.

أما القراءات بمعنى التصرف بالصيغ، أو بمعنى تبديل الكلمات غيرها، أو بالزيادة و النقص، فهى مرفوضة. و غير صحيحة. و هى إحدى مظاهر القول بتحريف كتاب الله سبحانه الذى لا يصح بأى وجه من الوجوه.

و قراءة ملك فى هذه الآية توجب اختلافا بل اختلالا أساسيا فى المعنى، فلا مجال لقبول ذلك و لا للسكوت عنه، حيث

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٥

إنه ينتهى إلى ذلك المحذور الكبير و الخطير، الذى دل الدليل القاطع على بطلانه و زيفه.

الخلود في العذاب، و العدل:

و عن سؤال: إنه كيف يمكن فهم قضية العدل في الجزاء، و نحن نرى: أن الكافر إنما عاش كافرا في الدنيا لمدة محدودة، و هي مئة سنة مثلا، فكيف يعاقب على كفر مئة سنة، بخلود دائم في العذاب الأليم؟!

نجيب:

صحيح: أن الكفر و القتل و غيرها قد حصل في زمن محدود، لكن ذلك الكفر و القتل قد أوجد ثغرة في سلامة المجتمع، و سلامة الحياة سوف تبقى إلى الأبد، فالقتل مثلا قد حرم المقتول من بقية حياته إلى الأبد، و الجاني حرم المجنى عليه من يده أو من عينه إلى الأبد أيضا.

و هكذا سائر الجنايات و السيئات. فإنها تتسبب بعدم سوف يستمر و يبقى.

و قد كان بإمكان المجنى عليه أن يتوب من ذنوب أو أن يعمل في بقية حياته، أو بيده التي ذهبت، أو بواسطة عينه خيرات و مبرات توجب النعيم الأبدى له، أو النجاة من عذاب أبدى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٦

فالجزاء إذن، قد جاء على قدر جناية الجاني، و بمقدار ما أحدثه من ثغرة في جدار سلامة الحياة. و بدون هذه الملاحظة لا يكون جزاء عادلا، و لا هو وفق الحكمة.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٧

تفسير قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٩

بداية:

قد ظهر من كل ما تقدم، ابتداء من بسم الله، و إلى قوله:

يوم الدين: أن الله سبحانه قد أسس أساسا عقائديا متينا، يتلمسه الإنسان في واقعه، و يحس به بفطرته و يقضى به ضميره و وجدانه، و يحكم به عقله، و ليس نتيجة اندفاع عاطفى أو غريزى، و لا انقيادا لهوى، و لا استجابة لشهوات، أو لطموحات غير مسؤولة، و لا هو حركة عشوائية غير منضبطة.

إنها عقيدة تستند إلى رؤية واضحة، و نظرة عميقة و شاملة عن الكون و عن الحياة، و عن الخلق، و أهدافه، و عن الخالق و صفاته و لطافه. توهم هذا الإنسان لأن يتحرك و ينطلق مصعدا ليقوم بدور بناء و إيجابى و سليم مرتكزا على هذه الثوابت العقيدية الأم، ليتلمس تفصيلات عقيدية أخرى منبثقة عنها هى الأقرب إلى التأثير بالواقع السلوك إلى درجة المباشرة أحيانا، فيتعامل

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٠

و يتفاعل مع كل شىء من خلالها و على أساسها؛ إذن فليست هى مجرد مفاهيم عقائدية تلقينية خاوية، لا- دور فيها للعقل، و لا للمنطق، و لا للفطرة و لا للشعور، و لا للوجدان، بل هى من صميم ذلك كله، هى حياة العقل، و انطلاقة الروح، و وهج الشعور، إنها

الحياة الحقيقية، و سر الوجود.

إياك نعبد:

إشارة

و لكي نقرب قليلا إلى واقع قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" فإننا نعود و نذكر بالعقائد الأم، كعقيدة التوحيد الكامل مثلا، التي تنبثق عنها تفصيلات تقول: إنه تعالى هو وحده المؤثر، و هو مصدر الفيض للعنايات و الألطاف، و هو وحده المستحق للعبادة. و هذا الاعتقاد التفصيلي هو الذي يترك آثارا مباشرة و مهمة في التكوين الفكري للإنسان، ثم في صياغة مفاهيمه. ثم هو ينعكس على الواقع المعاش سلوكا و موقفا، له خصوصياته و مميزاته عما عداه. هذا عدا عن تأثيراته الحقيقية في تكوين الشخصية الفردية و الاجتماعية للإنسان.

و يكفي أن نشير هنا: إلى أن هذا الاعتقاد هو الرافد الشعوري، و الفكري لانطلاقة الصراع مع النفس الأمارة بالسوء، و استمرار هذا الصراع لتطويعها على ممارسة التوحيد في العبادة و في السلوك، لتنتج هذه العبادة أخلاقا تتناسب معها، و إخلاصا

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢١

لله عز و جل بمستوى رسوخ هذه العقيدة، و بمستوى وضوحها أيضا. لتصبح ممارسة هذا التوحيد على درجة من العفوية و الفطرية، بعيدة عن حالات الرياء و العجب و الكبر و عبادة الذات، و المال، و المنصب، و الزعيم، و الحزب، و البنين، و السلطة، و الهوى، و ما إلى ذلك من أمراض نفسية تتنافى مع عقيدة التوحيد في العبادة.

فالرياء شرك، سواء أكان العمل ضرورة حياتية للفرد أو للمجتمع. لأن الرياء معناه جعل قسم من هذا العمل لجهة أو لشخص أو لفئة أخرى غير الله سبحانه، بحيث يكون لهؤلاء تأثير و مشاركة.

إذن، فلا بد من تخصيص العبادة لله، و لا بد من توحيد العبادة له تعالى؛ لأنه وحده المستحق لها، ليصبح قولنا: "إياك نعبد" له معناه و مغزاه الحقيقي، بعد أن وضحت الرؤية التوحيدية العقائدية، في العبادة، و في السلوك و العمل. منذ بدأنا بكلمة بسم الله .. حتى انتهينا إلى "إياك نعبد." فأثمرت تلك النظرة، و تلك العقيدة عبادة خالصة له سبحانه دون سواه، و أثمرت سلوكا توحيدا، فلا يستعين بغيره تعالى.

و ظهر و حصل الربط بين العقيدة و السلوك بصورة طبيعية و واقعية.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٢

تقديم كلمة إياك:

و في كل ذلك يشير إلى بعض ما يرمى إليه تقديم كلمة "إياك" على كلمتي "نعبد" و "نستعين." فإن هذا التقديم ينتج الأمور التالية:

التخصيص للعبادة و للاستعانة به تعالى. و قد أنتج لنا هذا التخصيص، من جهة إيجابية: التوحيد في العبادة، و العمل. و من جهة أخرى: نفى الشريك، و نفى التأثير لغير الله في أي عمل عبادي أو سلوكي كان. و نفى استحقاق العبادة لكل من عدا الله سبحانه

هذا بالإضافة إلى حاجة كل عمل في بقائه و استمراره، و تكامله و تحسينه، إليه سبحانه و تعالى.

و هكذا يتضح: أنه قد انبثق عن العقيدة الأم عبادة، هي عمل و حركة، و انبثق عنها صفة لهذا العمل و لهذه الحركة العبادية، و هي

كونه عملاً توحيدياً و حركةً توحيديةً أيضاً.

إنه تعالى يريد من هذا التخصيص، و من استعمال كلمة "إياك" التي تعنى الحضور و الخطاب المباشر: أن يوحى لنا أنه يريد من هذا الإنسان أن يتوجه إلى الله، و يشعر به، و يتعامل معه حتى كأنه حاضر أمامه إلى درجة الحس المباشر، و لا يكتفى بالاعتماد على الانتقال الذهني، استناداً إلى ضمير الغائب، فلم يقل:

"نعبده و نستعينه."

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٣

و من الواضح: أنه إذا كان الله سبحانه هو وحده مصدر كل خير و عطاء و قوة و الخ .. فإنه يكون وحده المستحق للعبادة و لا تصح الاستعانة بغيره أبداً.

و إذا كان الله هو مصدر كل خير و عطاء و قوة فلا يملك الإنسان قوة و لا أى شىء ذاتى فى نفسه خارج نطاق العطاء الإلهي فلماذا يكون ثمّة عجب بالنفس فالتوحيد الخالص يمنع العجب كما أنه إذا لم يكن أحد غير الله يملك ضراً أو نفعاً فلماذا الرياء فالتوحيد الخالص ينفي الرياء أيضاً.

إنه يريد الحضور و المشاهدة و الخطاب، الذى تتشارك فيه العين فى نظرتها، مع اليد فى إشارتها، مع اللفظ فى دلالة، مع السمع فى تلقيه، مع القلب فى وعيه، مع سائر الحواس و المشاعر، و اللغات و الخواطر. و ذلك إمعاناً فى تحقيق التعيين، و نفي أى توهم للمشاركة، و إبعاد أى شبح للإيهام أو للإيهام، فيما يراد إثباته من تخصيص العبادة له و به تعالى، و فيما يراد طلبه منه من الاستعانة و الهداية.

ثم إن تمحض الخطاب له تعالى، و معه، و إبعاد شبح أى إيهام أو إبهام أو مشاركة من شأنه أن يوحى لنا بالتححرر من أيّة رابطة مع غير الله سبحانه. ليتحقق الخلو فى عبادته، و فى الاستعانة به سبحانه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٤

و واضح: أن هذا التحرر التام هو نتيجة التوحيد الحقيقى، و تأكد أو رسوخ أساس العقيدة بالنبوة و بالمعاد أيضاً. فإن ذلك يفرض توحيد العبادة و العبودية، و توحيد العمل و السلوك أيضاً.

نعبد و نستعين بصيغة الجمع:

و قد استعمل سبحانه هنا صيغة الجمع لا المفرد، فقال:

نعبد، نستعين. اهدنا. و لم يقل: اعبد، استعين، اهدنى. و لعله من أجل أنه سبحانه يريد لهذا الإنسان أن يعيش خصوصيته الفردية فى نطاق حياته الاجتماعية، و لا يريد أن ينزل، و ينطوى على نفسه و يتوقع داخل قفص حديدى قضبانه هى الخصوصيات الفردية المحددة، و المؤذية أحياناً. و هذا أسلوب تربوى رفيع يهدف إلى تحويل الحركة الفردية، و الفعل الشخصى إلى إنجاز جماعى، له قيمته الإنسانية الفضلى.

مع الإشارة إلى أن التشذيب و التهذيب، و إيجاد حالة التوازن فى الخصوصيات و الطموحات الفردية إنما يكون فى ساحة الصراع و التحدى، حيث لا بد أن تعبر تلك الحالات الفردية للأنا عن نفسها، و عن وجودها، حيث لا مبرر لهذا البروز فى حالة الانطواء و البعد عن ساحة الصراع هذه.

و لأجل ذلك، فإنه تعالى حتى حين يشرع العبادات حتى الصلاة، فإنه قد جعل طابعها العام جماعياً و اجتماعياً بصورة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٥

ملموسة و ظاهرة، فالصلاة التى هى صلة للعبد به تعالى قد انطوت فى تشريعاتها و خصوصياتها و حالاتها على ما يجعل إحساس العبد

بصلته بالله سبحانه يتبلور في نطاق الحياة الاجتماعية. و من خلالها. ففي الأذان دعوة إلى التجمع من أجل الصلاة جماعة، و هي في المسجد أكثر ثواباً، و يزيد هذا الثواب بعدد أفراد الجماعة المشاركين «١١٠». ثم تتلو نصوص الصلاة التي تصهر روحك في بوتقة المجتمع الكبير فتقول: إياك نعبد و إياك نستعين اهدنا ..

صراط الذين أنعمت عليهم .. ثم تكون آخر كلماتك هي:

السَّلام علينا و على عباد الله الصالحين. السَّلام عليكم و رحمة الله و بركاته فتخرج من الصلاة لتدخل من باب الصلاة نفسها- بعد أن تكون حصلت على السَّلام النفسى و الروحى- إلى قلب هذا المجتمع الكبير، لتعيش بهذا السَّلام، بعد أن تكون هذه الصلاة قد أسهمت في تصفية روحك، و تزيئة نفسك، و أهلتك لأن تكون العضو الصالح و القوى و الفاعل في مجتمعك، و لا تزال تنهاك عن الفحشاء و المنكر، و هي عمود الدين. و هي النهر الذى تغتسل فيه كل يوم خمس مرات، لتكون مثال الطهر و الصفاء و النقاء. فالعبادة الفردية إذن تقوم- بالإضافة إلى سائر منجزاتها الكبرى- بتأهل الفرد و استصلاحه ليكون العضو الفاعل و العامل

(١١٠) مع أن عدد أفراد الجماعة ليس عملاً، و ليس من اختيار نفس المصلى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٦

الذى يحمل في داخله الأمان و السلام، ليزرعه و ليثمر عزا و قوة، و خيرا و بركة، و سموا و نبلا، ..

و هكذا يتضح أن هذا التوحيد فى العبادة، و الانطلاق إلى الله سبحانه فى رحاب الجماعة بعد أن تسقط جميع الحواجز و الموانع و الحدود الفردية، إن هذا- و لا شك- يفتح أمام هذا الإنسان آفاقاً رحبة، تدعوه إلى الانسياب فيها، و الانفتاح على كل ما تحتضنه فى داخلها، ليتصل هذا الفرد بكل ما هو خارج حدود فرديته، ليصبح بحجم الإنسان كله، و بمستوى الإنسانية كلها.

و ينطلق كادحا إلى ربه، و إليه فقط دون كل ما سواه، تاركاً أفقه الضيق و المحدود، ليستقبل الأفق الأرحب فى ملكوت الله و يهزم فى رحابه اللامتناهية. سعيداً بما استطاع أن يحصل عليه من مزايا إنسانية، سعيد بدرجات القرب من الله تعالى. و بما أكرمه الله به يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ «١١١».

فهذا التوحيد فى العبادة و الأفعال قد جعل هذا الإنسان أوسع أفقا و أرحب فكراً، و أكثر وعياً للحياة، و سوف ينتج ذلك مزيداً من التأمل و الفكر، ثم العمل الجاد الذى يكون فى مستوى هذه النظرة الشمولية و الواعية.

(١١١) سورة الانشقاق الآية ٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٧

و فى التوحيد فى العبادة ربط باللانهاى و اللامحدود، الذى هو مصدر كل عطاء، فما على الفكر من حرج إذن، إذا انطلق ليتصل بالمحدود ليقوم بالإنجاز الكبير بحجم الحياة كلها. هذا كله بالإضافة إلى إخراج الإنسان من حالة الانعزال و الانفصال إلى حالة التواصل و التعاون و المشاركة، و الفهم العميق لهذه المشاركة.

إن الذى يطالع تشريعات الإسلام و أحكامه يجد: أنه يريد أن يصوغ الفرد بطريقة تجعله صالحاً لأن يكون لبنة فى بناء المجتمع الكبير، و لا بد لأجل تحقيق هذا الهدف من تحقيق حالة التناسق و الانسجام مع سائر اللبنة التى لا بد لكل منها بحسب موقعها، و ما يتطلبه الوضع الهندسى للبناء ككل من أن تتخلى هي و تفرض على مشاركتها أن تتخلى أيضاً عن كثير من المزايا الفردية التى لو لا ذلك لتركت على طبيعتها.

و يكون التعويض غير المباشر عن تلك الخصائص و المزايا الفردية هو اكتساب كل المزايا و الاستفادة من كل القدرات و الطاقات الجماعية، التى تنعكس قوة للفرد، و طاقة له، و لكن بطريقة أخرى، و بأسلوب آخر، و هذا ما يؤكد أن للعبادة التى لها دور رئيس فى

صياغة مزايا الفرد، لا- بد أن توضع في قالب الجماعي، لتصوغ تلك المزايا في حالة من التوازن والانسجام، لتنشأ متخذة بصورة عفوية الشكل الهندسي المطلوب. وليس من الضروري، بل ليس من الحكمة أن تنشأ هذه المزايا بصورة تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٨

مستقلة ومنفصلة، ثم يصار إلى عملية تقليم و تطعيم، و تهذيب و تشذيب قسريه لها، لأن ذلك لن يكون في منأى عن إحداث أضرار و ندوب، و آثار تبقى و تظهر بصورة أو بأخرى. كان بالإمكان أن لا تكون و أن لا تراها القلوب و العيون. و بذلك يمكن تفسير صيغة الجماعة في قوله تعالى: نعبد. نستعين. اهدنا.

مراتب العبادة:

ثم إنه مرة يعبد الإنسان الله سبحانه لوجود أمر إلزامي، لا يريد أن يتمرد عليه. و مرة يأتي هذا الإنسان بكل ما هو مطلوب منه، على سبيل المتاجرة مع الله، فيقوم بالعبادة المحبوبة له تعالى، ليأخذ في مقابلها درجات في الجنة.

و مرة يعبد الله لأنه يرى الله أهلا للعبادة، و هذه هي أرقى أنواع العبادات. و ستأتي عن أمير المؤمنين عليه السلام الإشارة إلى هذه المراتب.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٢٩

ما المراد بالعبادة:

و إذا أردنا أن نستوضح المراد من العبادة في "إياك نعبد" و سواها، فإننا نقول:

لقد قال الله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١١٢﴾.

و قال تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿١١٣﴾.

فهدف الخلقه إذن هي عبادته تعالى. و المراد بهذه العبادة هو الانقياد المطلق لإرادة الله سبحانه في أوامره و زواجره؛ إذ أن الله قد خلق هذا الكون، و هذا الإنسان، و رسم له هدفا لا بد له من التحرك باتجاهه، حتى ينتهي إليه، و هذا الهدف، و تلك المسيرة ليست واضحة المعالم لهذا الإنسان تمام الوضوح، بل هي غارقة في بحر الغيب، و محفوفة بكثير من الأمور التي تحجب الرؤية الصحيحة لها، و الشاملة لكل ما يرتبط بها.

و الذي يعرف ذلك الغيب، و يهيمن على كل هذا الواقع هو الذي يفترض فيه أن يقدم الإرشادات الهادية إلى طريقة التعامل مع كل هذا الواقع، و كيفية استعمال هذه الأجهزة التي تمكن

(١١٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(١١٣) سورة البينة، الآية ٥.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٠

الإنسان من التحرك بصورة سليمة و قويمه باتجاه ذلك الهدف حتى بلوغه.

و هذا كما لو اشترت جهاز كمبيوتر مثلا فإن تشغيله بصورة عشوائية لن يحقق الأهداف المتوخاة منه. فلا بد من التماس طريقة التشغيل و تعليماته من نفس صانع ذلك الجهاز، ثم الالتزام الدقيق بها لتحصل على ما يراد الحصول عليه منه.

والإنسان أيضا قد زوده الله بأجهزة تتناسب و تتناغم مع كل ما أودعه الله من أسرار في هذا الكون الذي يريد من خلال التعامل معه أن يصل إلى الله سبحانه و يبلغ رضوانه و يسعد بإنسانيته- لا بالمال و لا بالمنصب، و لا بالجمال أو الشكل، و لا بغير ذلك- و ينطلق ليحيا الحياة الحقيقية بعمق، و بكل ما يملك من طاقات- كما أشار إليه تعالى حين قال: **إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** (١١٤).

و أى استعمال لهذه الأجهزة بغير الطريقة المرسومة لن ينجح في تحقيق هذا التناغم فيما بينها و بين سائر نوااميس الطبيعة، فيكون الخلل، و يكون الخسران.

إذن، فلا بد من الطاعة الدقيقة و الشاملة لأوامره تعالى.

و هو المراد بالعبادة. و لا يمكن السماح بأصغر مخالفة للتعليمات

(١١٤) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣١

الإلهية، لأن ذلك سينعكس سلبا على سلامة المسيرة. و لن يمكن ضمان وصول القافلة بسلام إلى الهدف المنشود بدون ذلك، و هذا ما يفسر لنا: أيضا قوله تعالى: **لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** «١١٥». فلا يكون ثمة أية عبادة، أو فقل: أى طاعة و انقياد لغير الله، بل و ينحصر ذلك به تعالى، و به فقط.

تنوع المستحبات و كثرتها:

و من الواضح أن الإسلام قد قدم- في نطاق تعليماته- مجموعة من الأوامر و الزواجر. و كل منهما ينقسم إلى ما هو ملزم، و ما هو غير ملزم، حيث أن الواجب ترافق مع المستحب، و جاء إلى جانب الحرام، المكروه. أضف إلى ذلك: هذا الحجم الهائل، و هذا التنوع العظيم للمستحبات على وجه الخصوص.

فما هو هذا السر في هذا و ذاك يا ترى؟ و لماذا؟!:

إننا نعتقد: أن الإجابة على هذين السؤالين تبدأ بالإشارة إلى أن هناك أمورا يسبب فعلها أو تركها خلا مباشرا في الواقع الذي يراد له أن يكون سليما، و متماسكا و قويا. و هناك أمور لها دور صيانة لهذا الواقع. أو دور التأهيل لما يحتاج إلى التأهيل

(١١٥) سورة البينة، الآية ٥.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٢

لتحمّل أعبائه، و متابعة المسيرة بصورة أكثر أمنا، و أكثر شعورا بالثقة، و أحيانا يكون ثمة طموح إلى تجاوز الحد الأدنى من الأهلية، من أجل مواجهة الصوارف و التحديات القوية، التي قد تأتي من داخل الإنسان: من غرائزه أو شهواته، أو بسبب وجود خلل في تكامل بعض خصائص شخصيته بالمقارنة مع ما عداها. و كذلك مواجهة التحديات الكبيرة التي قد تأتي من خارج شخصية الإنسان. و التي قد تضع الإنسان في أحيان كثيرة في محيط الكارثة الحقيقية. و لأجل كل ذلك و سواه كانت المكروهات و المستحبات فيما يبدو.

و بما ذكرناه أيضا يعرف سبب التنوع في خصوص المستحبات، فإن الهدف بالإضافة إلى أمور أخرى هو شحن هذا الإنسان روحيا بواسطة هذه المستحبات، و المفروض هو وجود تنوع في ظروف و قدرات، و حالات الإنسان، و ضروريات حياته المختلفة، فمع تكثر و تنوع المستحبات يصبح باستطاعته أن يستفيد منها في مختلف حالاته و ظروفه النفسية، و الجسدية، و الاجتماعية، و المعيشية و

غيرها. حيث يجد فيها ما يتلائم مع كل حالة و كل ظرف. فقد يرغب في الصوم إذا كان الصوم يلائم ظروفه و تقبل عليه نفسه، و قد يرغب في قراءة القرآن إذا كانت حالته المعيشية و الجسدية و سواها تسمح له بذلك، و قد يرغب في

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٣

العمل الاجتماعي و قضاء حاجات المؤمنين. فيختار ذلك أيضا. و هكذا في سائر الحالات و الأوضاع و الظروف.

و إياك نستعين:

إشارة

و إذا انتقلنا إلى قوله تعالى: و إياك نستعين، فإننا نسجل مد يلى:

الوعي يقتضى الاستعانة:

إنه إذا عرف الإنسان حجم ما يواجهه من تحديات من داخل ذاته، و هو ما يحتاج لدفع آفاته إلى الجهاد الأكبر، على حد تعبيره (ص)، و عرف أيضا حجم التحديات التي تواجهه من خارج ذاته، في كل موقع و فى كل مجال، فإنه يدرك أنه بحاجة إلى الاستعانة بمصدر القوة و اللجوء إلى مصدر العطاء و الفيض. و لن يستطيع أن يحقق حلمه الكبير من دون ذلك.

التوحيد فى العبادة و الاستعانة:

و إن الآية الشريفة فى حين أكدت على التوحيد الكامل فى العبادة، فإنها قد أكدت أيضا على التوحيد فى العمل، حيث حصرت الاستعانة به سبحانه دون كل ما و من عداه. الأمر الذى يعنى: أنه تعالى وحده القادر على التأثير، و أنه وحده الغنى، و القوى، و الخ.. فمن أجل ذلك كان لا بد من حصر الاستعانة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٤

به تعالى. و من أجل ذلك كان التوحيد فى الاستعانة معناه الحرية الكاملة و الحقيقية، حيث لا يشعر أنه بحاجة إلى أحد لأن الجميع لا يملكون ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا. و لأجل ذلك جاءت الاستعانة مطلقة و من دون تقييد أو تحديد.

جبر أم اختيار:

و إذا لو حظت صيغة الآية فإنها تدل دلالة واضحة على أننا نحن الذين نختار أن نفعل، و نحن الذين يصدر عنا الفعل الذى نختاره. فنحن نعبد الله، و نحن أيضا نعمل و نطلب منه تعالى أن يعيننا على ما نعمله و لذا قال: نعبد. نستعين. فلو كان هو الذى يعمل فلماذا نطلب منه العون؟! و لماذا أيضا ننسب العبادة إلى أنفسنا؟!

الاستعانة، و العجب و الرياء و غيرها. و نقول أيضا:

أولا: إن إحساسنا بالحاجة إلى معونة الغير لنا، معناه: أننا لا نملك القدرات الكافية لإنجاز الفعل بالاستقلال. و هذا من شأنه أن يبعد الإنسان عن الشعور بالعجب الناشئ عن الإحساس بالقدرة الفائقة، و بالاستقلالية فى التأثير.

ثانيا: إذا كان الإنسان يحس بالحاجة إلى الغير من الناس، أو يشعر بالضعف أمامه، فقد يلجأ إلى أن يتزلف له، و يتقرب

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٥

منه، بإظهار خلاف الحقيقة. فيقع في الرياء، و في محاولة التزييف و الخداع.

أما إذا تأكد لديه: أن الله وحده هو الذى يمكن أن يرفع ضعفه، و يسد حاجته، فإنه لا يجد ضرورة للتزلف إلى غيره.

و يكون قد ابتعد بذلك عن حالة الرياء التى تنشأ عادة من الشعور بالحاجة إلى الآخرين، أو بالضعف أمامهم. فإذا وجد أنهم لا يملكون ما يجبر ضعفه، و يسد حاجته؛ فلماذا يتزلف إليهم؟

و لماذا الرياء؟

و إذا رأى: أن غيره ضعيف مثله، و ليس لديه ما يتقوى به، فلماذا و عن أى شىء يخدعه؟

ثالثاً: ثمة نقطة أخرى نشير إليها هنا، و هى أن الإنسان يحتاج إلى المعونة و هو فرد، و يحتاج إليها، و هو جماعة. فلا يمكن أن يستغنى عن معونة الله سبحانه فى الحالتين، فإذا كانت الجماعة تحتاج إلى العون، فحاجة الفرد إلى ذلك تصبح أولى و أوضح.

الاستعانة بغير الله سبحانه:

تمنع بعض الفرق من الاستعانة بغير الله سبحانه، و تعد ذلك شركاً، و خروجاً عن الدين، إذ لا مؤثر فى هذا الوجود سوى الله سبحانه. و الاستعانة بغيره تستبطن الاعتقاد بوجود مؤثر آخر سواه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٦

إذن، فلا يجوز (وفق مقولتهم) أن نقول عند ما يتكالب علينا المستكبرون: يا مهدى أدركنا. و عند ما يتكالب علينا الأعداء، و نحتاج إلى الأسوء، و إلى إلهاب روح التضحية و الفداء لندفع عنا كيد الأعداء، لا يجوز أن نقول: يا حسين. و حينما نشعر بالمظلومية و نحتاج لبلسم الجراح لا يجوز أن نقول: يا زهراء.

و عند ما نحتاج إلى الصبر فى موقع الكرب و البلاء، لا يجوز (وفق مقولتهم أيضاً) أن نقول: يا زينب. و عند ما نريد أن نتقوى على العمل الكبير و الخطير، لا- يجوز أن نقول: يا على. و لا يجوز أن نطلب شفاء المريض، و حفظ الغائب من النبى أو الولي. إلى آخر ما هنالك.

و هذا الكلام ظاهره جميل و منسجم مع تقديم كلمة "و إياك" المفيد للتخصيص للاستعانة به تعالى، فى قوله تعالى: "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

و لكن الحقيقة هى: أنه كلام غير مقبول، بل و غير معقول. و ذلك لما يلى:

إنه لو صح هذا لاقتضى تحريم قصد الطبيب للعلاج.

و لاقتضى تحريم شرب الدواء. و لاقتضى كذلك تحريم طلب المعونة فى حمل الحجر أو الصندوق الثقيل، و لاقتضى تحريم أن يطلب الإنسان من أحد أن يناوله الإبريق مثلاً ليشرب. فإن ذلك كله

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٧

أيضاً استعانة بالمخلوق. فإن كان ما تقدم يعد شركاً، فهذا أيضاً مثله.

لقد حفل القرآن الكريم بالآيات الصريحة بطلب العون، أو طلب التعاون من غير الله سبحانه، فلو كان ذلك شركاً، فلماذا يأمر الله سبحانه بالشرك؟

فلنقرأ الآيات التالية:

قال تعالى: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّوَدَّانِ «١١٦».

و قال: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ «١١٧».

و قال: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ «١١٨».
و قال تعالى: حكاية لقول ذى القرنين: قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي حَيْرٌ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا «١١٩».

(١١٦) سورة المائدة، الآية ٢.

(١١٧) سورة البقرة، الآية ٤٥.

(١١٨) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(١١٩) سورة الكهف، الآية ٩٥.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٨

هناك فرق بين الاستعانة و بين العبادة، و المحرم هو عبادة غير الله لا الاستعانة به، فيحرم عبادة غير الله لأى سبب كان و بأى طريقة كانت. و كما يحرم السجود له كذلك يحرم التمسح به تمسح عبادة.

و كما يحرم السجود له بعنوان كونه ربا و إلها و خالقا.

كذلك يحرم السجود له بعنوان أنه يقربه إلى الله زلفى.

أما الاستعانة، فهي لا تلازم الاعتقاد بوجود مؤثر غير الله على حد التأثير الإلهي أو الربوبي. بل الاستعانة بالنبي أو الولي، إنما هي من أجل أننا لا نرى فى أنفسنا أهلية الوقوف بين يدي الله و الطلب منه بسبب ما اقترفناه، فنطلب من هذا النبي و الولي أن يتولى هو طلب حاجتنا منه تعالى. فإذا شفى المريض فالله- و الحالة هذه- هو الذى شفاه، و إذا قضيت الحاجة فإن الله هو الذى قضاها. و هذا ليس من الشرك فى شىء، بل هو عين الإخلاص و المعرفة و التوحيد.

كما أننا حين يعين بعضنا بعضا فليس ذلك بقدره ذاتية، بل بالقدره التى أعطانا إياها الله، و من المال الذى رزقناه الله، إلى آخر ما هنالك.

و هذا من الأمور البديهية التى يدركها حتى الأغبياء، فضلا عن الأذكياء و العلماء.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣٩

الاستعانة بالله و الجبر الإلهي:

و قد يحلو للبعض أن يصور لنا: أن الاستعانة بالله سبحانه تعنى: أنه لم يعد لنا أى استقلالية فيما نعمل، بل لم يعد لنا أى دور فى أعمالنا بل هى تنسب إلى الله سبحانه، و نحن لا دور لنا فيها، بل نحن مسيرون كما تسير أية آله أخرى بيد محرکها. و نقول:

إن ذلك غير صحيح، فقد قدمنا الحديث عنه تعالى، حيث تحدث هنا بصيغة جمع المتكلمين: نعبد. نستعين. (و تحدثنا عن بعض

حكم و أهداف هذا التعبير) و هو تعبير صريح فى أنه تعالى يريد منا: أن نبادر إلى العمل باختيارنا، و بملء إرادتنا.

و بالاستقلال عن كل أحد. فلو كان الله هو الذى يفعل، و نحن دورنا دور الآله، فلا يبقى مورد للعون منه لنا، بل كان ينبغى أن يقول: أنت تفعل و لا تحتاج إلى معين من أحد.

و الحاصل: أن هذا لا ينافى كون التأثير لله سبحانه، فالله سبحانه:

يمدنا بالقوة البدنية، بالسمع، بالبصر، بكل شىء؛ و يفيض علينا الوجود لحظة بعد لحظة.

و أعطانا أيضا حرية توظيف هذه القوى فى الموارد التى تروق لنا. تماما كما هو الحال فى التيار الكهربائى، أو أنابيب المياه، فالذى

يمدنا بالماء و الكهرباء هو المولد الكهربائى،

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤٠

و المضخات، و نحن نختار: أن نغتسل في الماء أو نغسل ثيابنا و وسائلنا، أو أن نسقى به زرعنا، أو أن نشربه، أو أن نغرق فيه حيوانا، أو إنسانا أو ..

و المولد الكهربائي يمدنا بالطاقة و نحن نختار: أن نستعملها في التدفئة أو في الإنارة، أو في جهاز الراديو، أو تعذيب أو قتل إنسان أيضا.

و لكن يمكن أن يقطع المدد بالماء و بالكهرباء من قبل المضخة، و المولد. فنحن لسنا أحرارا بصورة مطلقة.

و بعد أن نختار الفعل من نوع ما و نحرك يدنا أو لسنا، أو أى جراحة أخرى بالطريقة التي تستكمل العلة التامة عناصر وجودها، فإن الله سبحانه وفقا لما أجرى عليه سنة الحياة يفيض الوجود على ما يختاره العبد، إذا اكتملت عناصر علة التامة، حيث لا بد من تحقق معلولها.

و بعبارة أوضح و أصرح: إنه قد تتعلق إرادة الله التكوينية بالشىء مباشرة، و قد تتعلق إرادته به إذا وجدت علة التامة و التي قد يكون من جملة أجزائها إرادة الإنسان و اختياره؛ فلا بد من وجود المعلول حين وجود علة التامة، وفقا للسنن الحياتية و الطبيعية التي تحكم هذا الكون و تهيمن عليه، و ليس هذا من الجبر فى شىء. بل هو محض الاختيار للإنسان. و إن كان هذا الاختيار

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤١

محفوظا بالإرادة الإلهية من الناحيتين. لكن هذه الإرادة لا تصادم اختيار الإنسان و لا تتعرض له بشىء.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤٣

تفسير قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم

إشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤٥

اهدنا الصراط المستقيم:

هناك عدة أمور لا بد من الحديث عنها فى هذا المقام، و هى التالية:

ارتباط الآية بما قبلها:

لكى نفهم بصورة اعمق مدى ارتباط هذه الآية بما سبقها، فعلىنا أن نشير إلى التسلسل الطبيعي لما تحدثت عنه الآيات السابقة، فنقول: إنه بعد أن تأكد الاعتقاد بالله سبحانه، و بصفاته- الجمالية و الجلالية- ثم بيوم الدين، فلا بد أن تترك هذه الاعتقادات آثارها على العقل، و المشاعر، و المفاهيم و العواطف، و غير ذلك. ثم هى قد أنتجت عقائد تفصيلية أثارت حركة، و سلوكا، و موقفا هو عبادة توحيدية خالصة له تعالى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤٦

و كان لا بد أن يكون ذلك السلوك و العمل، و تلك العبادة منسجمة مع طبيعة الهدف الذى يسعى إليه الإنسان، و هو أن يحقق هذا الإنسان ذاته، و يستجمع خصائصه و مزاياه الإنسانية، و يقيم حالة من التوازن فيما بين تلك الخصائص و المزايا، ليحقق من خلال ذلك انسجامها مع ذلك الهدف، و تناغمها معه بصورة إيجابية و بناءة و دافعة للحركة الصحيحة باتجاهه، و من ثم باتجاه مواقع

الزلقى و القرب من الله سبحانه و تعالى.

و بعبارة أخرى: إن الإنسان إنما يسعد بإنسانيته، و باقامة حالة من التوازن بين كل خصائصه و مزاياه و طاقاته بجميع تنوعاتها، لأن حالة التوازن هذه هي التي تعطيه السّلام و الطمأنينة في ظل الرضى، و الرعاية الإلهية. و أى خلل و اهتزاز في حالة التوازن هذه- بسبب اقتراف معصية، أو بسبب تربية خاطئة- سيؤدى إلى اهتزاز هذا السّلام النفسى و تقويضه، و سينعكس سلبا على درجة القرب من الله سبحانه. قال تعالى: «أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ» (١٢٠).

و من الواضح: أن إقامة حالة التوازن هذه، و سعادة الإنسان بإنسانيته، ثم السعى نحو الله سبحانه لنيل درجات القرب

(١٢٠) سورة الرعد الآية ٢٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤٧

و الرضى منه تعالى، أن ذلك- إنما يتم بالعمل، و الممارسة، فلا بد من أطروحة عملية تقدم لهذا الإنسان نهجا يساعد على تحقيق ذلك، و تقدم له أيضا قوانين و أحكاما سلوكية تحمى خطواته على هذا الطريق من أن تزل و تنحرف. و هو أيضا بحاجة إلى العون و الرعاية و الهداية.

ولا بد أن نتلمس هذا النهج، و تلك النظم و القوانين و الأحكام و نطلبها منه تعالى لأنه سبحانه- بصفته رب العالمين- هو وحده العارف بما خلق، و هو وحده المطلع على كل الغيب و على جميع الأسرار، و هو المربى، و العالم بطبيعة المربوب، و العالم بسبل الوصول إليه، و الاتصال به.

فقوله: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ يأتى كنتيجة طبيعية لقوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فهو الجهة التى نلجأ إليها بصورة عفوية و طبيعية.

فإذا كان لا بد من عبادة توصل إليه تعالى، و لا بد من كدح و عمل و مواجهة مصاعب و متاعب، فإن طلب المعونة، و طلب الهداية إلى الضوابط و الأحكام التى تضمن سلامة الحركة يصبح أمرا ضروريا.

فالعبادة ليست هدفا، و إنما هى وسيلة تستبطن العمل الذى يحقق الهدف و لكى يكون العمل مؤثرا لأثره دون أية

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤٨

سلبات، فلا بد من نهج و خطة و ضوابط تمنع من الخطأ، و تجعل الحركة بالاتجاه الصحيح.

الطلب الجازم:

و قد جاء طلب الهداية هذا بتيا و جازما، فلم يقل: اهدنى إن شئت، أو إن أحببت، لأن المطلوب فى كل دعاء و طلب من الله هو ذلك. فقد أمرنا بالإلحاح فى الطلب، و بالجزم و البت فيه.

فإنه تعالى يحب إلحاح الملحين من عباده المؤمنين (١٢١).

الإسلام لا يفنى عن طلب الهداية:

إشارة

و قد يخطر ببال البعض أن يقول: ما دمنا قد أسلمنا و آمننا، فقد حصلت الهداية، فلماذا نطلبها و هى موجودة لدينا؟ و هل هذا إلا طلب

الحاصل؟ و لماذا كلّفنا الله سبحانه بطلبها فى صلواتنا كل يوم عشر مرات على الأقل؟

و نقول في الجواب.

أولاً: صحيح: أن الله سبحانه قد رسم لنا بالإسلام طريق الهداية. و لكن مجرد العمل بأحكامه لا يكفي لتحقيق الهدف

(١٢١) راجع البحار، ج ٩٢ ص ١٥٥ و قرب الإسناد، ص ٥.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٤٩

المطلوب، و هو أن يحقق الإنسان إنسانيته و يستكمل مزاياها ليصل من خلال ذلك إلى الله سبحانه، و ينال درجات القرب منه. فالكل يصل، لكن صلاتهم لا تنههم عن المنكر، بل بعضهم ينتهي عنه، و بعضهم لا ينتهي، و الذين ينتهون عن المنكر، بعضهم أرسخ امتناعاً و انتهاءً من بعض.

و عدا عن ذلك فإن الصلاة هي معراج المؤمن، و قربان كل تقي، لكن الكثيرين- و إن كانت صلاتهم تنههم عن الفحشاء- لا يكون لهم عروج بها، و لا تكون قربانا لهم، إلا بمقدار ضئيل و ضعيف.

إذ كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع و الضمأ.

و كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر و العناء «١٢٢».

و هذا الحد الأدنى من العمل قد يسقط التكليف، و يمنع من العقاب. و لكن قد لا يثاب المرء عليه، و لا يفيد شيئاً في إيصاله إلى هدفه الأسمى.

و قد صرح أمير المؤمنين عليه السلام، بأن العبادة درجات و مراتب، فقال: (إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار.

(١٢٢) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨٥ (بشرح عبده) الحكمة رقم ١٤٥، و البحار ج ٩٣ ص ٢٩٤ و راجع ص ٢٩٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٠

و أن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد. و أن قوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار) «١٢٣»

و هو الذي يقول: (ما عبدتك خوفاً من عقابك، و لا طمعا في ثوابك، و لكنني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) «١٢٤».

فالعمل الذي يسقط التكليف هو الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل، ثم بقدر إخلاص الإنسان في عبادته، و بقدر ما يبذله من جهد، بقدر ما يكون القرب و الرضى.

فإذا كان الإنسان في درجة و مرتبة، فإنه يحتاج إلى الهداية و إلى المعونة لينتقل منها إلى درجة أعلى، ثم إلى الأعلى منها، و هكذا ..

و وسائل ذلك هو الصبر، و الإخلاص و الجهد، و جهاد النفس.

و لكل منزلة و درجة خصوصياتها و آفاقها، و مسؤولياتها التي تختلف في حجمها و تفاصيلها عن سابقتها. و لها كذلك واجباتها التي

تنسجم معها، و مع ما استجد لهذا الإنسان، و ما انفتح عليه من معارف و آفاق، و أحوال و غيرها .. فهي إذن تحتاج إلى هدايات إلهية

جديدة، ليعرف كيف يتعامل مع هذا الواقع الجديد،

(١٢٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) مطبعة الاستقامة بمصر ج ٣ ص ٢٠٥ الحكمة رقم ٢٣٧.

(١٢٤) مستدرک سفینه البحار ج ٧ ص ٥٥.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥١

تفسير سورة الفاتحة ٢١٩

ليتفاعل، ثم ليتأقلم معه، و ليتمكن من تهيئة الوسائل لاستمرار تحركه باتجاه مراحل أخرى أرحب و أوسع و أرقى. فلا بد له من هداية

فى محيطه قبل الانتقال، ثم هداية فى حركته الانتقالية، ثم هداية ثالثة حين بلوغه المرحلة الجديدة. فهو كالمسافر الذى يحتاج إلى هداية أولية، ثم إلى هدايات فى كل مرحلة يصل إليها، ثم إلى هداية بعد الوصول ليكون على علم بتفاصيل و حالات و مناخ البلد الذى وصل إليه.

و العباد ء و القرب من الله سبحانه لا ينحصر بالصلاة و الصوم و الحج .. بل إن كل عمل يمكن أن يكون عبادة. و قد يكون تفكر ك بالله، و محاسبتك نفسك فى آخر ساعة من نهار أفضل من عامة عباداتك، الخاوية و الخالية من الإخلاص و التفكير، بل قد يصاحبها رياء و عجب، يخرجها من دائرة كونها مظهرا من مظاهر التوحيد، لتكون شركا موبقا و مهلكا.

و قد يكون نومك عبادة إذا كنت صائما. و لا تكون صلاتك عبادة، كما أن كدك على عيالك، و إحسانك لوالديك و مرابطتك على الثغور، و سعيك فى قضاء حاجات المؤمنين، قد يوصلك إلى الدرجات العلى، و المراتب السامية، التى ترفعك إلى درجة عبادة الأحرار. و إذا كانت كل درجة تجعل الإنسان يفتح على الله سبحانه، بعقله و وعيه، و فكره و معرفته بصورة أتم و أكبر، فإن صلاته- إذا بلغ بعض المراحل- ربما تصير أكثر معراجية،

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٢

و أشد نهيا له عن المنكر، و أمرا له بالمزيد من المعروف. ثم يصبح دعاؤه مستجابا. بل قد يصبح المستحب عنده واجبا، و المكروه حراما، و الصغيرة من الذنوب يراها كبيرة. ثم يزداد تكاملا و رقا حتى يصبح يرى بعين الله، و ينطق بما يريد الله، و يصير يومه أفضل من أمسه. و يفهم بعمق مغزى قول على عليه السلام: من اعتدل يومه فهو مغبون «١٢٥». و يلحق من ثم بدرجات الأولياء و الأصفياء.

و هذا هو السير الطبيعى الذى مر به الأنبياء و الأوصياء، فوصلوا إلى ما يريدون، و نالوا ما يشتهون بعلمهم و بجهدهم و جهادهم. و إن علمهم بالحلال و الحرام تفسير القرآن، و إن كان واحدا، و لكنهم يتفاوتون فى علمهم بملكوت الله سبحانه، و بأسرار الخليقة. و يزدادون فى علمهم هذا، كما جاء فى بعض الروايات «١٢٦».

فالحاجة إلى هداية الله و تسديده، و معونته و توفيقه، و فتح آفاق المعرفة بالله، و الالتذاذ بقربه، و إدراك ألطافه، و التفاعل مع بركاته. هذه الحاجة مستمرة و متجددة، و تحتاج إلى هداية بعد

(١٢٥) البحار ج ٦٨ ص ١٨١. و معانى الأخبار ص ١٩٨. و أمالى الصدوق ص ٣٥٢. و أمالى الشيخ الطوسى ص ٤٤٧ ط سنة ١٤٠١ هـ. ق. و أعلام الدين ص ٣٠٣.

(١٢٦) تفسير البرهان ج ١ ص ١٧.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٣

هداية. و لا بد من طلبها منه تعالى. و لا بد من الإلحاح و الإصرار على هذا الطلب "اهدنا الصراط المستقيم."

و ثانيا: إن المراد هو استمرار الهداية الإلهية، لأنه إذا و كلنا إلى أنفسنا فإن أهواءنا و شهواتنا، و المغريات و الضغوطات تتسلط علينا فتزين لنا الانحراف و الخطأ. حتى لنرى الحق باطلا، و الباطل حقا، و نقع فى المآثم و المظالم، و نصبح فى ظلمات بعضها فوق بعض.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ «١٢٧».

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ «١٢٨».

و فى ناحية الهداية أيضا يكون الأمر كذلك. قال تعالى:

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى، وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ «١٢٩».

و قال سبحانه: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ «١٣٠».

فالحاجة إلى المعونة و الهداية قائمة و دائمة. فطلبها لا بد أن يستمر، ليشملك اللطف الإلهي الغامر. أما إذا انقطعت عن طلب الهداية، و أحسست بعدم الحاجة إليها، فقد قطعت صلتك

(١٢٧) سورة المطففين، الآية ١٤.

(١٢٨) سورة الصف، الآية ٥.

(١٢٩) سورة محمد، الآية ١٧.

(١٣٠) سورة البقرة، الآية ٢.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٤

بالله، و استوجبت قطع اللطف الإلهي عنك، و أصبحت عرضة للأهواء و الشهوات، لتتلاعب بك، و للشياطين لتغويك و تطغيك.

و هذا ما لا يرغب به عاقل، و لا يرضى به حتى جاهل.

و نجد في اللغة العربية ما يشهد لكون الهدى بمعنى ثبتنا.

و ذلك فيما لو قلت لأحدهم: قف حتى أعود إليك.

فكلمة: قف، يطلب بها الثبات على حالة الوقوف. و ليس المطلوب، أن يقف بعد أن يكون قاعدا. و كلمة الهدى هي الأخرى من هذا

القبيل.

أنواع الهداية و أقسامها:

إشارة

و قد قسم بعضهم الهداية إلى أربعة أقسام هي:

هداية الإلهام: و هي نوع من الهديات التي تدفع الطفل لتناول ثدى أمه، و الارتضاع منه بمجرد أن ينفصل عن رحم أمه؛ فالحواس

وحدها لا يمكن أن تدفعه إلى ممارسة هذا الفن الرفيع.

و كذلك ليس لديه من الإدراك في تلك الفترة ما يمكنه من ذلك، فضلا عن أن يتعلم ذلك من معلم أو أن يقرأه في كتاب، أو

غيره.

الهداية الحسية: فإن الحواس لها دور في الهداية، فالبصر يهدى إلى الأشكال و الأحجام و الألوان. و بالسمع تهتدى

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٥

إلى الأصوات، و تميز بينها، و تعرف الشجي من النشاز. و القوى من الضعيف، و ما إلى ذلك.

و بواسطة اللمس تعرف الحار و البارد، و اللين و القاسي، و الخشن و الأملس الخ ..

و كذلك بالنسبة إلى حاسة الشم في المشمومات، و حاسة الذوق في المطعوم و المشروب.

الهداية العقلية: التي ندرك بها ما لا يقع تحت قدرة الحواس، و لا ينال بالإلهام، و ذلك مثل الحسن، و القبح، و العدل و الظلم، و

التوافق و التضاد، و التناقض و عدمه و ما إلى ذلك.

الهداية الشرعية: و هي تكون فيما يعجز العقل عن درك كنهه، و يقف حائرا أمامه. و قد تحول الأهواء، و الغرائز و الشهوات دون

وصول العقل إليه، حينما تهيمن عليه تلك الأهواء و الشهوات، و تفقده القدرة على التمييز، فتشبه عليه الأمور، و يخلط الحق بالباطل.

فيأتي دور الشرع ليحل محل العقل في الهداية و البيان.

و بعد هذا البيان نقول: كأنهم يريدون أن يقولوا: إن معنى الآية الشريفة هو: اهدنا إلى شريعتك، و بها، فى المواقع التى يعجز العقل، و الإلهام، و الحواس عن إدراك وجه الصواب فيها.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٦

و نقول: إن هذا البيان غير مقبول.

أولاً: لأنه كلام غائم، و لا سيما فيما يرتبط بقدرات العقل على الإدراك، و حدوده و مجالاته.
ثانياً: إن الهداية على تفسيرهم هذا تنتهى بمجرد تعليم الشريعة، فإذا عرفت أحكامها فلا حاجة لقوله اهدنا كل يوم عشر مرات أو أكثر، لأن أمور الشريعة و الدين محددة و لا زيادة فيها، و الزيادة إنما هى فيما هو خارج عنها.
ثالثاً: قد ذكرنا فيما تقدم: أن الهداية ليست مجرد تلقين و دلالة، ثم تقبل أو لا تقبل، على حد قوله تعالى: هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا. بل الهداية إلى النجدين هى إحدى مراتبها.

و توضيح ذلك:

هذه الهداية ليست هى - كما يقول بعضهم - التوفيق الإلهى. ليردّ عليه بعض آخر: بأن الهدايات التوفيقية خاصة بالأنبياء «١٣١».

(١٣١) هذا إذا أريد بالتوفيق الإلهى، الوحى. أما لو الأعم منه، فلا يختص التوفيق بالأنبياء حسبما أوضحناه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٧

بل هى هداية بعد هداية تزيد و تتسع باستمرار، تبعاً لما يستجد للإنسان من معارف، و تفتح أمامه من آفاق. و يواجهه من أمور جديدة تحتاج إلى حل، و إلى استكناه حقيقتها، و الانسياب فى آفاقها.
و ذلك على حد قوله تعالى: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى فَإِنِ الْمَعْرِفَةُ كَلِمًا اتَّسَعَتْ، كلما زادت معرفة الإنسان بحجم المجهولات التى يحتاج إلى كشفها. و كثرت الألغاز التى تحتاج منه إلى حل، فإن الخير يوصل بعضه إلى بعض، و يهدى بعضه إلى بعض، كما و يشد بعضه أزر بعض.

و لا يختص ذلك بالأنبياء، ما دام أن عبادات الإنسان، و التزامه بأحكام الله من الأوامر و الزواجر له آثاره عليه، فتصقل روحه، و فكره و عقله و تجربته؛ و تزيد من طاقاته، و تهيؤه لنيل مراتب أعلى و أرقى.

و بالوصول إليها، و الحصول عليها يكتسب المزيد، فيوظفه لنيل موقع جديد من مواقع القرب و الزلفى له تعالى، و يصبح أقدر على مواجهة نفسه، و صدها عن شهواتها، ثم مواجهة المغريات و المشكلات بعزم أشد، و قدرات أعظم.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٨

الهداية و الجبر الإلهى:

و قد ادعى بعض المفسرين: أن قوله تعالى: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْخَيْرَ" .. يدل على صحة قول الأشاعرة: إنه تعالى هو فاعل الخير و الشر. أما العبد فلا يوجد فعله و لا يخلقه. و لذا نسبت الهداية هنا لله تعالى؛ فهو الذى يفعل و يوجد.

و لكنه نسب الضلال للعبد فى قوله: "و لا الضالين"، مع أن الله سبحانه هو الذى يضلهم - تأدبا معه تعالى ..

إذن فقوله تعالى: "اهدنا" يمثل رداً على المعتزلة و الراضية.

و نقول:

إن هذا التأدب - لو صح - فهو دليل على قبح صدور ذلك منه تعالى. وإذا لم يجز نسبة القبح إليه تعالى لفظاً، فما بالك بنسبته إليه وصدورها منه خارجاً؟!.

إن المراد من - اهدنا - ليس هو إيجاد الهداية بطريق جبرى وقسرى وتكوينى، بل المراد: هو المساعدة فى الهداية، فإذا قلت لإنسان: ساعدنا على هذا الأمر، فإنك أنت الذى تبذل الجهد، وتعمل، وتؤثر فيه بصورة مباشرة ثم يساعدك الآخرون. وإذا كانت الهداية بمعنى الدلالة، والتوفيق والتسديد، فالأمر يصير أوضح؛ فإنك إذا قلت لرجل: اهدنى ودلنى، فإن دلالتك لا تعنى أنه قد خلق المعرفة فيك وأجبرك عليها. بل هو يدللك، وأنت تختار أن تعمل بهذه الدلالة، أو لا تعمل.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٥٩

إنه سبحانه فى نفس سورة الحمد، قد نسب الفعل إلى العبد. وذلك فى قوله: نعبد. نستعين. فأنت الذى تعبد. وأنت الذى تفعل، وتريد منه أن يعينك، ويقويك، وينشطك، ويشجعك لتحقيق المزيد من النجاح والفلاح، ثم تطلب المزيد من الهداية والدلالة إلى كل ما يوجب القرب، والمزيد من المحفزات والمشجعات، والتوفيقات والبركات. ولو صح ما ذكروه فى "اهدنا" للزم التناقض بينه وبين "نعبد. نستعين. الضالين. حيث جعل الله فيها معينا هنا. ومجبرا على الهداية خالقا لها هناك.

وإذا صح: أنه نسب الضلال إلينا تأدياً.

فلماذا نسب إلينا الفعل فى نعبد ونستعين، إذ لا معنى للتأدب فيهما لنسبهما إلى غيره تعالى. إذ لا قبح فى نسبتها إليه سبحانه.

إهدنا الصراط أو إلى الصراط:

إشارة

وقد يدور بخلد البعض هنا سؤال، وهو: لماذا قال سبحانه هنا: اهدنا الصراط المستقيم، ولم يقل اهدنا إلى الصراط؟! فما هو الفرق بين التعديّة المباشرة، وتسلط الفعل على المفعول مباشرة وبين التعديّة بواسطة حرف الجر.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٠

و الجواب:

إن التعديّة المباشرة تشير إلى الهداية الحسيّة، أما التعديّة بالى. فتشير إلى الهداية الإرشادية. أى أن الأولى تصلك بالصراط المستقيم، فتلمسه بيدك. والثانية ترشدك إلى الصراط، وتدللك عليه ولو من بعيد.

ومن الواضح: أن الهداية الحسيّة التى يتجسد الواقع فيها أمامك أشد إغراء ودعوة. وهى التى يحصل فيها الإنسان على السكون واليقين، بصورة أعمق وأشد. وهى الأقوى والأجلى والأوضح. ثم هى الأضمن للوصول. من أية هداية أخرى. وهى أقصى درجات الهداية، وأشدّها قطعياً.

ونحن بحاجة ماسة إلى هذا الضمان، وإلى السكون والاطمئنان، لخطورة الأمر، من حيث كونه يتعلق بمصير الإنسان، وبكل حياته وجوده وحركته.

فكأنه قال: اجعلنا نتحسس الصراط بصورة مباشرة، ولا تكتف بمجرد الدلالة الإرشادية إليه، لأننا نريد أن نسلكه، لنصل منه إلى الهدف الأسمى، والغاية الفضلى.

مناقشة وردّها:

وقد يقال: إننا لا نجد فرقا بين قولنا دخلت الدار، و دخلت إلى الدار و نقول:

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦١

أولاً: هذا صحيح في هذا المثال، ولكنه ليس صحيحاً في سائر الموارد، والسبب في ذلك هو أن مادة: (دخل) تختلف عن مادة (هدى). فإن (دخل) لا تقبل إلا نوعاً واحداً من المعنى، وهو الولوج في الشيء.

أما كلمة (هدى) فهي قابلة لأكثر من نوع من المعنى، فهناك هداية حسية، وهناك هداية إرشادية الخ.. فهدي الصراط تشير إلى الحسية، وإلى الصراط تشير إلى الإرشادية، فلا يصح قياس الثانية على الأولى.

ثانياً: إننا بالرغم مما ذكرناه أنفاً- نشعر بوجود فرق بين قولنا: دخلت الدار، و دخلت إلى الدار.

فإن قلت: (إلى الدار) فإنك تكون قد لاحظت كيفية الدخول، وآليته، والطريق إليه، و لم تلحظ في قولك: (دخلت الدار) شيئاً من ذلك.

الصراط المستقيم:

إشارة

وقد ورد في العديد من الروايات: أن المقصود بالصراط المستقيم: الإسلام.

و في بعضها: على بن أبي طالب عليه السلام.

و في بعضها: الأئمة عليهم السلام.

فلماذا اختلفت الروايات؟! و هل هي متضادة فيما بينها؟.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٢

الجواب:

إنها غير متضادة، لأننا إذا اهتدينا إلى على عليه السلام، و إلى الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، فإننا نهتدي إلى الإسلام.

و إذا اهتدينا إلى الإسلام، فإنه يهديننا إلى على عليه السلام و الأئمة عليهم السلام، لأن المقصود بعلى هو على المعصوم و الهادي إلى

الحق، و ليس المقصود هو الرجل المكون من لحم و دم

و ينشأ من هذا البيان سؤال.

إشارة

و هو أنه لماذا عدل سبحانه عن كلمة الإسلام، أو على، أو الأئمة إلى كلمة الصراط .. أي لماذا لم يقل: إهدنا إلى الإسلام، مثلاً؟.

و نجيب:

أولاً: إن الهدف هو الوصول إلى الله سبحانه، و نيل درجات الزلفى لديه. و الإسلام وسيلة للوصول إلى الهدف، و على و الأئمة عليهم

السلام هم الإدلاء و الهداء، إلى تلك الوسيلة، و المعينون على الوصول.

و قد أراد الله سبحانه من عدوله عن التصريح بذلك أن يشعر هذا الإنسان بأن ثمة غاية سامية، و هدفاً مقدساً، لا بد أن يسعى إليه، و

يسلك السبل الموصلة، و يتطلب الهداية من الإدلاء عليه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٣

فإذا تحدث عن صراط و طريق، علم أن للطريق نهاية، و للصراف غاية. و على الإنسان أن يتساءل عنها، و يبحث و يستدل. فإذا عرف أنها رضا الله سبحانه. فإنه سوف لن يتساهل في جعلها نصب عينيه في كل موقف، و حركة و سلوك.

أما كلمة: (الإسلام) أو (الأئمة) أو (على) فهي لا تدل على ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بل لا بد من التماس البيان من جهات أخرى، و قد لا يخطر على البال طلب بيان من هذا القبيل.

ثانيا: إن الله سبحانه أراد أن يشير إلى القيمة السامية لأحكام الإسلام، فإذا شعر الإنسان بأن الإسلام هو الصراط المستقيم، الموصل إلى الله سبحانه، فإن الشعور يعطى المضمون الإسلامى فى مجال الممارسة قيمة روحية و إيمانية. و يدفع إلى المزيد من الارتباط الروحى و المعنوى بالإسلام، و إلى المزيد من الإخلاص، و التقدير، و التقديس.

إذن، فلا مجال لأن تكون صلاة هذا الإنسان كنقر الغراب، و لا لأن تكون عباداته مجرد طقوس، و حركات خاوية.

بل عليه أن يدرك أن الإسلام، و الإمام، و الأئمة ليسوا هم الهدف المقصود لذاته. و إنما هم وسائل و وسائط عليه أن يستفيد منهم للدلالة و الهداية، و المعونة فى الوصول إلى الهدف و الحصول عليه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٤

إنهم هم الأكثر قدرة على المساعدة فى الوصول إلى الأهداف العليا، و الغايات السامية. و ذلك بما لديهم من معرفة دقيقة و عميقة، ثم بما لهم من قيمة روحية و معنوية، و بموقعهم المتميز فى التكوين الإيمانى و العقيدى للإنسان المسلم.

ثالثا: إن ذلك يبعد الإنسان عن ان يتعصب لغير جهة تبرر التعصب المعقول و المقبول. حيث يفهمه أن المطلوب ليس هو التعصب للإسلام، لأنه دين موروث، فإن التعصب للإسلام أى بما هو موروث يكون جريمة كبيرة و عظيمة، و إنما المطلوب هو التعصب للإسلام، لأنه الصراط المستقيم، و لأنه الحق و الصدق.

و ما سواه باطل و مزيف، أو مشوه و محرف.

(ال) فى الصراط للجنس أو للعهد:

و قد يسأل البعض عن كلمة (ال) فى الصراط هل هى للجنس، أو للعهد؟!

و نقول:

إنه لا مبرر لكونها عهديه، لأن العهد إما ذكرى، أو ذهنى أو خارجى. و لم يتضح توفر أى من هذه الأمور الثلاثة فى هذا المورد. و حتى لو كانت عهديه، فإنه العهد، إنما هو للإسلام، أو الدين الحق.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٥

و حين تكون جنسية فذلك أقوى فى الدلالة على المقصود، حيث تشير إلى أن طبيعة الصراط المستقيم هى الإيصال إلى الهدف. فيكون المراد: أن الصراط جنس منحصر فى فرد، كالشمس، التى هى معنى عام و كلى منحصر فى هذا الجرم السماوى المضىء بالنهار و إذا أنحصر الجنس فى فرد، فإن كل القلوب و العقول، و الأبصار، و حركة اليد فى إشاراتها تتوجه إليه مباشرة و إلى خصوصيته، بسبب تفرده و تعيينه.

وصف الصراط بالمستقيم: لماذا؟!

قالوا: إن كلمة (الصراط) تعنى الخط الأقرب بين نقطتين. فهو إذن يستبطن الاستقامة. لأن أقرب خط بين نقطتين هو الخط المستقيم و

هذا الخط واحد، ولا يمكن التعدد فيه.
 و هو أيضا يصلك بالهدف بصورة مباشرة.
 ولذا، لو افترضنا خطين متوازيين يسيران، فإنهما لن يلتقيا في نقطة و هدف واحد، بل يصل إليه أحدهما دون الآخر. اما في صورة التعرج فقد يصل الخطان إلى الهدف، و قد يكون التخلف عنه منهما معا، أو من أحدهما.
 تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٦

و الخطوط المتعرجة تكون:

أطول.
 و تتعدد.
 و قد لا توصلك إلى الهدف.
 و قد أشار سبحانه إلى ذلك حين قال: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ «١٣٢».
 و الخط المستقيم باتجاه هدف إذا انحرف عن الاستقامة، فإنه لن يصل إلى الهدف قطعا. نعم لو انحرف مرة أخرى فإن كان الانحراف الثانى باتجاه الهدف، فإنه يصل إليه، و إن لم يكن باتجاهه فإنه يحتاج إلى انحراف آخر، و هكذا.
 فإن كان الصراط يستبطن معنى الاستقامة حقا، فإن المقصود هنا من كلمة: (المُسْتَقِيم) هو التأكيد على خصوصية الصراط هذه، و ذلك من أجل:
 التصريح و التأكيد على أقربيته إلى الهدف بالنسبة لسائر الطرق، بدلا من الاعتماد على الانتقال من المعنى التركيبى إلى المعنى التجزيئى، الذى يفصل الصفة عن موصوفها ذهنا.

(١٣٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٧

الإشارة إلى قصره، و سرعة الوصول من خلاله إلى درجات القرب و الفوز بها.

الإشارة إلى أنه الطريق الواحد، الذى لا ثانى له.

الإشارة إلى إيصاله الأكيد، فى مقابل غيره مما قد لا يوصل أصلا.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٦٩

تفسير قوله تعالى: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

إشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧١

نسبة الصراط إلى غير الله سبحانه:

إشارة

إن من يراجع الآيات القرآنية يجد: أنها جميعا باستثناء آيتين قد نسبت الصراط إلى الله سبحانه. فاقرا الآيات التالية، و قس عليها غيرها

صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ* (١٣٣).

صِرَاطِ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا (١٣٤).

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ (١٣٥).

صِرَاطِ اللَّهِ (١٣٦).

و الآيتان اللتان نسب فيهما الصراط لغير الله هما:

(١٣٣) سورة سبأ، الآية ٦. و سورة إبراهيم، الآية ١.

(١٣٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٦.

(١٣٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(١٣٦) سورة الشورى، الآية ٥٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٢

قوله تعالى: قُلْ: إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، دِينًا قِيمًا (١٣٧).

فإنه اعتبر في هذه الآية: أن الصراط المُستقيم هو الدين القيم، أى هو صراط موصوف بأنه دين قيم ..

و لكنه تعالى أيضا لم ينسب في هذه الآية الصراط إلى أحد.

بل تركه عرضه للاحتتمالات، مع العلم أن الدين القيم هو صراط الله سبحانه أيضا.

فينحصر نسبة الصراط لغير الله سبحانه في خصوص:

آية سورة الفاتحة: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ..

فهنا أسئلة ثلاثة:

إشارة

الأول: لماذا اختصت سورة الفاتحة بهذا الأمر؟

الثاني: ما هو السبب في نسبة الصراط هنا فقط لغير الله سبحانه؟

الثالث: لماذا احتاج إلى هذا التفصيل بعد قوله: الصراط المستقيم؟

(١٣٧) سورة الأنعام، الآية ١٦١.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٣

و نقول في الجواب عن هذه الأسئلة:

أولاً: إن نسبة الصراط في سورة الفاتحة إلى الذين أنعم الله عليهم ليس معناها أنه لم ينسبه فيها إلى نفسه، و ذلك لأن صراطهم هو في النتيجة و المآل صراط الله سبحانه. فهو ينسبه إليهم، لأنه صراطهم الذى اختاروه و مشوا فيه و قطعوه .. و إن كان الله سبحانه هو الذى سنّه و شرعه لهم.

ثانياً: إن الله تعالى حين نسب الصراط، للذين أنعم عليهم، فقد أراد أن يقول: إن الذى اهتدى إلى صراطه المستقيم، فإنما اهتدى إليه

بنعمة منه تعالى وفضله وهدايته؛ فيكون ذلك أدعى للإخلاص له، و الارتباط به سبحانه وتعالى.

وليس هذا الاهتداء نتيجة لقدرات ذاتية بشرية كاملة، ومن خلال جهد شخصي، بعيد عن تسديد الله سبحانه، و هدايته، و أفضاله. و ثالثا: إنه إذا ظهر لنا أن الآخرين قد اهتموا إلى هذا الصراط، فإن ذلك يجعلنا نطمئن إلى إمكانية تحقيق ذلك بالنسبة إلينا أيضا، فهو إذن ليس أمرا نظريا تجريديا لا واقعية له، أو ليس فوق طاقة البشر، أو غير قابل للتطبيق، بسبب ظروف موضوعية ذات طابع معين.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٤

و رابعا: إنه تعالى في خصوص هذه السورة التي لا بد أن نقرأها في صلاتنا عشر مرات على الأقل يوميا، يريد أن يجسد لنا الأسوة و القدوة واقعا حيا يمكن أن نترسم خطاه، و نهتدى بهديه.

و ذلك لأين الإنسان - بطبيعته - يتعامل مع الأمور من خلال حواسه الظاهرية بالدرجة الأولى، ثم ينتزع من القضايا المحسوسة قضايا تصويرية، ثم يبحث عن قواسمها المشتركة و يسقط خصوصياتها، ليكتشف المبدأ و النظرية، و القاسم المشترك، و القاعدة. و قد أراد سبحانه لنا هنا: أن يجسد لنا هديه و تعاليمه لنتقل من المضمون الواقعي و الحسي، الغنى بالقيم و الجمالات، ليمثل لنا إغراء يدعوننا إلى الاندفاع إليه، و الالتزام به، و التعاطي معه، من موقع الوعي، و المشاعر المرتكزة إلى مناسئها، فنكون أكثر اقتناعا، و أعمق إيمانا، و أشد تمسكا و التزاما به. حتى إننا لنضحى من أجله بالغالى و النفيس حين يقتضى الأمر ذلك.

أما إذا اقتصر على المضمون التصوري، و التخيلي التجريدي، فإن الاندفاع لن يكون بالمستوى المطلوب، بل سوف يعاني من حالات التردد و الخوف من جدوى أو من إمكانية و واقعية ما يطلب منه. و لن يكون في موقع الرضى و الثبات و الطمأنينة في الممارسة و في الموقف.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٥

و لا أقل من أن ذلك لن يكون قادرا على الإثارة و الإغراء بمستوى ما لو كان المضمون حسيا و متجسدا. أضف إلى ما تقدم: أن من مصلحة الإنسان أن يتطلب أقصى درجات الهداية و أجداها و أوضحها، و أشدها تأثيرا، و الهداية الحسية هي الأقوى و الأجدى حيث تريك القيم، و الجمالات متجسدة أمامك، و تدفع بك، و تشدك إليها. فإذا صاحب ذلك تنفير، و تخويف من صراط الضالين و المغضوب عليهم. فإن كل المقومات المطلوبة للاندفاع بقوة تصبح جاهزة و مستعدة للتأثير و للتحريك باتجاه الهدف الأقصى و الأسمى.

و بعبارة أوضح: إن النعمة و الاستزادة هي هدف الطالب في جامعته، و هدف المزارع في حقله، و هدف العابد في محرابه، و .. و يتحرك الإنسان من أجل الحصول عليها بصورة عفوية فيسلك إليها أقرب السبل و أكثرها أمنا. و هو الصراط المستقيم. فإحساسه بأن ثمة نعمة و ثمة استزادة، يمثل دافعا له إلى التحرك نحوها. و إن الغضب الإلهي - و الله سبحانه هو أعظم قوة تملك التصرف في حياة و شؤون الإنسان و غير الإنسان. ثم الضلال عن الهدف، و عن طريق الوصول إليه، نعم، إن هذا الغضب و ذلك الضلال لما كان الإنسان ينفر منه و يبتعد عنه

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٦

بصورة عفوية أيضا .. لأن الغضب و الضلال يوحيان بزوال النعمة، أو بعدم الحصول عليها، فلا بد له إذن من الابتعاد عن سبل المغضوب عليهم و الضالين لتفادي أية سلبية تنشأ من اتباع سبيلهما.

و يلاحظ أخيرا: أنه تعالى قد عبّر بكلمة "أنعمت" التي تفيد معنى ينطبق على جميع الأمور التي تعنى الإنسان من صحة أو مال أو قدرة، أو جاه أو هداية أو علم، أو أمن أو أى شىء آخر يسهم في إسعاد الإنسان، و يمكن له أن يحصل عليه. و هذا نوع آخر من الترغيب و التحفيز للسير على ذلك الصراط.

و كل ذلك يفسر لنا السبب في أن ذلك قد ورد في سورة الفاتحة التي تتكرر في كل يوم عشر مرات على الأقل. فقد أريد منه أن

يصبح خلقا، و طريقة، و حركة عفوية، من خلال ارتكاز ذلك في نفس الإنسان و روحه و كل وجوده.

النعمة و النعمة:

و قد يتخيل البعض: أن الذين أنعم الله عليهم. قد تسببت لهم نفس تلك النعمة بالنعمات، فقد أودى الأنبياء، و قتل الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء بصورة مفاجئة. و قال علي عليه السلام لأهل العراق: "لقد ملأتم قلبي قيحا « ١٣٨ »".

(١٣٨) نهج البلاغة- بشرح عبده- الخطبة رقم ٢٦ ج ١ ص ٦٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٧

و مع هذا، فكيف نفس قوله تعالى:

إشارة

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ «١٣٩»؟.

حيث عد سبحانه الشهداء أيضا في جملة من أنعم عليه، مع أنهم يواجهون الحتوف، بشفار السيوف، مع ما يصاحب ذلك من آلام و مشقات و أهوال، و محن.

هذا بالإضافة إلى الأنبياء الذين يواجهون المصائب و البلايد، و العظائم و الرزايا. و خلاصة الأمر: إن هذا- وفق تصورهم- لا- يتناسب مع نسبة النعمة لهم، بل ذلك نعمة، لأنه ليس إحسانا و تكريما إليها. فكان المناسب أن يقول: صراط الذين أعتبتهم و أشقيتهم بالمصائب في سبيل هذا الدين.

و نقول في الجواب:

صحيح أن النعمة هي الشيء الحاصل للإنسان على سبيل الإفضال و التكريم منه تعالى. و لكن المهم هو أن ندرك نحن هذه النعمة، و نعرف كيف نتلمسها، و ما هي المفردات التي تتجسد

(١٣٩) سورة النساء، الآية ٦٩.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٨

فيها. فهل تتجسد بالمال، أو بالسلطة، أو بالجاه، أو بالمنصب، أو بالقوة الجسدية، أو بالجمال، أو بالعرق، أو ..

فقد يشعر كمال الطمأنينة، و السعادة، و الراحة النفسية، و لكنها طمأنينة، و راحة و سعادة تبقى محدودة بحدود، و مقيدة بقيود لا تتجاوز قيمة المال نفسه. فإذا مرضت فقد تستفيد من مالك لدخول أرقى المستشفيات، و استخدام أحدث الأجهزة، و الاستفادة من خبرات أمهر الأطباء، و .. و لكن هل هذا هو كل شيء. و هل حصلت على الطمأنينة و على السعادة بأعلى مراتبها؟

و هل زال هاجس الخوف على حياتك بصورة نهائية؟

إن المال يماشيك و يصل معك إلى حد معين، ثم يقف عنده، و كذلك الجاه، و السلطة و .. و بعد ذلك- و هذه هي المرحلة الأخطر و الأهم- لا بد أن تبحث من جديد عن السعادة و الطمأنينة الحقيقية في غير ذلك كله، لتجدها متمثلة في رضى الله سبحانه، و في الإيمان و السكون بذكره كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً «١٤٠» و قال سبحانه: أَلَا بِذِكْرِ

اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «١٤١».

(١٤٠) سورة الفجر، الآيتان ٢٨ و ٢٩.

(١٤١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٧٩

و لأجل ذلك يكون الشهداء سعداء، و الأنبياء و الصالحون و الأولياء سعداء، و فى نعمة حقيقية. هم فى نعمة و فى سعادة حتى و هم يتألمون و يواجهون المحن، و البلايا، و يستشهدون. و تأكل السيوف أجسادهم.

و هذا ما يفسر لنا: قول مسلم بن عوسجة، أو سعيد بن عبد الله الحنفى للإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء: لو علمت أنى أقتل فىك ثم أحياء، ثم أحرق حيا، ثم أذرى، يفعل بى ذلك سبعين مرة، ما فارقتك، حتى ألقى حمامى دونك «١٤٢».

و قال على عليه السلام: و الله، لابن أبى طالب أنس بالموت من الطفل بئدى أمه «١٤٣».

و حين ضرب عليه السلام بسيف ابن ملجم لعنه الله قال:

فزت و رب الكعبة «١٤٤».

(١٤٢) نفس المهموم ص ٢٠٦ ط سنة ١٤١٢ ه دار المحجبة البيضاء و اللهوف ص ٣٩. و مقتل الحسين للمقرم ص ٢٥٦ عن الإرشاد للمفيد و عن تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٣٩.

(١٤٣) نهج البلاغة- بشرح عبده- ج ١ ص ٤١ ط دار المعرفة- بيروت.

(١٤٤) ترجمة الإمام على من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى) ج ٣ ص ٣٠٣. و مقتل أمير المؤمنين عليه السلام لابن أبى الدنيا مطبوع فى مجلة تراثنا سنة ٣ عدد ٣ صفحة ٩٦. و يبايع المودة ص ٦٥.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٠

و حين قال ابن زياد لزينب رحمها الله: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت: ما رأيت إلا جميلا «١٤٥».

و سأل الحسين عليه السلام القاسم ابن الحسن عليه السلام:

يا بنى، كيف الموت عندك؟

قال: يا عم، أحلى من العسل. «١٤٦»

إلى نماذج كثيرة أخرى للرضى و التسليم و الإيمان و الاطمئنان، و الإحساس بالسعادة و بالفوز بقاء الله سبحانه.

و هذه هى النعمة الحقيقية التى يختار الله الشهيد على أساسها، ثم يمضى القرار الإلهى بها من خلال التكليف الإلهى، ثم المبادرة العملية من هذا المكلف لإنجاز ذلك التكليف، و يتوج ذلك بالاصطفاء، الذى هو التعبير عن الرضى الإلهى الغامر.

أما المال و الجمال و القوة و سوى ذلك فلن يستطيع أن يمنحك هذه السعادة، التى قد يجدها الفقير المعدم، و يفقدها الغنى بماله، الفقير بما سوى ذلك- بل إن أفقر الناس هم الأغنياء.

(١٤٥) نفس المهموم ص ٣٧١. و اللهوف ص ٦٧.

(١٤٦) نفس المهموم ص ٢٠٨. عن اللهوف ص ٨٢ و ٨٣.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨١

و لأجل ذلك صح التعبير عن الشهداء والأولياء و ..
ب "أنعمت عليهم."

و إن شئت لخصت ما تقدم على الشكل التالي:

إن النعمة هي الحصول على المطلوب، و تحقيق الغاية المتوخاة، و النعمة هي الخيبة و الخسران في هذا المجال .. أما الألم و التعب الموصولان إلى الغاية فليسا نعمة أبدا. فما تعرض له الأنبياء و الأوصياء و المؤمنون، لا يعتبر نعمة، لأن ذلك لم يجعلهم يخسرون نعمة القرب من الله، و الحصول على مقامات الزلفى منه، بل قد زاد ذلك في علو درجاتهم، و فى صقل إيمانهم، و تصفية و تغذية نفوسهم. الأمر الذى زاد فى استحقاقهم للألطف الإلهية، و للتوفيقات و البركات الربانية. فالأهم تلك كانت سببا فى زيادة توغلمهم فى النعم.

من هم الذين أنعم الله عليهم:

لقد حدد الله سبحانه لنا الذين أنعم عليهم، فقال:
فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا «١٤٧».

(١٤٧) سورة النساء، الآية ٦٩.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٢

شمول الآية للنبي (ص) و الأئمة (ع):

و قد يدعى البعض: أن الآية تشمل الأنبياء السابقين على نبينا (ص)، لأنها نزلت فى أول البعثة، و لا تشمل نبينا الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، و الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام، لأنهم حين نزول الآية لم يكونوا موجودين، أو ما كانوا يمثلون أسوة و قدوة للناس ليأمر الله سبحانه بالتمسك بهم، و الاتباع لهم.
و نقول:

إن الجميع مقصود بالآية حتى نبينا الأكرم و أئمتنا عليهم الصلاة و السلام. لأن الآية هنا مسوقة على نحو القضية الحقيقية، لا القضية الخارجية أو الذهنية.

و لتوضيح ذلك: نقول: إن كل قضية لا بد لها من موضوع يكون الحكم عليه، و هو أقسام؛ فإنك:

إذا قلت: كل جبل ياقوت ممكن الوجود. فجبل ياقوت لا وجود له فى الواقع الخارجى، بل هو موجود فى ذهنك فقط (فهذه قضية ذهنية موجبة).

إذا قلت: كل من فى الغرفة عمره أقل من عشرين سنة، أو كل من فى المعسكر قد درب على حمل السلاح، أو كل من فى هذا المدرسة يحمل الشهادة الابتدائية. فقد لوحظ موضوع الحكم

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٣

هنا موجودا فى الواقع الخارجى، و متحققا فى أفراد فى أحد الأزمنة الثلاثة (فهذه قضية خارجية موجبة).

إذا قلت: كل إنسان قابل للتعليم العالى. أو قلت: من شهد أن لا إله إلا الله، و أن محمد رسول الله فهو مسلم. أو قلت: كل ماء كرى فهو طاهر و مطهر. أو كل من أنعم الله عليه فهو مهتد إلى الصراط المستقيم. أو من بلغ و هو عاقل فقد وجبت عليه الصلاة. و كذا: لله

على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا.

فموضوع الحكم في هذه الأمثلة كلها قد لوحظ وجوده في نفس الأمر و الواقع: أى أن الحكم إنما كان على الطبيعة بما لها من أفراد محققة الوجود، و مفروضة و مقدره الوجود معا. فكلما فرض وجوده- و إن لم يوجد بعد- فهو داخل فى الموضوع و يشمل الحكم. فإذا وجد فإن الحكم يثبت له بصورة تلقائية، و لا يحتاج إلى إنشاء حكم جديد. و هذا ما نسميه بالقضية الحقيقية الموجبة.

و ما نحن فيه من هذا القبيل. فمن أنعم الله عليه من الأولين و الآخرين قبل نزول الآية و بعد نزولها فهو مهتد إلى الصراط. كما أن من شهد الشهادتين فهو مسلم حتى و لو ولد بعد آلاف السنين، من هذا التاريخ، و هكذا سائر الأمثلة
تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٤

نحن و السابقون:

و قد يتخيل البعض: أن الذين أنعم الله عليهم إذا كانوا هم الأئمة و النبى و الشهداء و الصالحون. من هذه الأمة بالإضافة إلى من سبقهم. فإن معنى ذلك: هو أن المصاديق الفضلى و المثلى لذلك يكون عمرها من عمر رسالة نبينا (ص) نحن المسلمين، و لم يكن بمقدور من سبقنا من الأمم أن يصل أو أن يتصل به، و لا أن يطلع على ما استجد من تعاليم توجب المزيد من الرقى و السمو و القرب. أضف إلى ذلك: أن معنى ذلك أن الصراط المستقيم أصبح من الأمور النسبية، التى تتفاوت و تختلف باختلاف الأشخاص و الأزمان. فالمرتبة التى يمكن أن يصل إليها الناس بعد بعثة نبينا (ص) و إمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام تصبح أكمل و أتم من المراتب التى توفرت للأمم السابقة على بعثته (ص).

فإن نبينا أفضل من أنبيائهم، و تعاليمه أكمل و أتم من تعاليمهم، و تجربتنا أغنى من تجربتهم. و بهذا فسر العلماء تعدد الشرائع بعدد الأنبياء أولياء العزم، حيث كان السابق منهم عليهم السلام يمهد لللاحق، على مستوى تنمية القابليات و الاستعدادات لتأهل الإنسان و تمكينه من مواكبة و تقبل و تحمل المستوى الجديد و الشريعة الجديدة، التى ستستخ سابقتها.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٥

و نقول: إننا نجمل توضيحنا فى إطار النقاط التالية:

إن الصراط الموصل إلى الله سبحانه واحد، لا يمكن التعدد فيه و لا الاختلاف، فمن يسير على تعاليم إبراهيم عليه السلام يصل إلى الله سبحانه، و كذلك من يسير على تعاليم موسى و عيسى عليهما السلام. و الباب مفتوح أمام الجميع و الشريعة وسيلة للوصول.

غاية الأمر:

أن هناك من يصل نقطة و هناك من يصل إلى نقطة أبعد منها. ثم أبعد، و هكذا .. و المعيار هو ما يحصل عليه من درجة خلوص و إخلاص، و صفاء و نقاء، و معرفة. و لا ينحصر ذلك فى سابق، و لاحق، فإبراهيم الخليل عليه السلام قد سبق من سبقه و من لحقه من الأنبياء حتى موسى و عيسى، باستثناء نبينا محمد (ص) .. فكما استطاع إبراهيم الوصول إلى تلك المرتبة العليا، فيمكن لغيره أن يصل أيضا إليها، و قد وصل نبينا (ص) من خلال شريعة إبراهيم إلى درجات ربما لم يبلغها إبراهيم نفسه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٦

إن نبينا محمدا (ص) كان في الأصل على شريعة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** «١٤٨».

وقد كان موسى وعيسى على شريعة إبراهيم أيضا، وقد أرسلهما الله سبحانه إلى بني إسرائيل. وقد كان هناك شريعتان فقط: هما شريعة إبراهيم عليه السلام، و شريعة نبينا محمد (ص).

بل إن شريعتهما أيضا واحدة وقد قال تعالى: **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** «١٤٩» ولذلك نصلي على نبينا وآله و على إبراهيم وآل إبراهيم في سياق واحد، و لعل ذلك للإلماح إلى هذا الأمر.

و كون موسى وعيسى وغيرهما من أولياء العزم لا يلزم منه أن يكون لهما شرائع مستقلة. لأن المقصود بكون النبي من أولى العزم، هو أنه يملك طاقته وقدرته يستطيع معها مواجهة التحديات الكبرى، حتى ليواجهه عليه السلام فرعون الذي كان يدعى الربوبية، و يواجه بني إسرائيل و هم قتلوا الأنبياء، و أصعب الناس انقيادا للنبي.

(١٤٨) سورة النحل، الآية ١٢٣.

(١٤٩) سورة الحج، الآية ٧٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٧

و نسخ بعض الأحكام في شريعة سابقة، لا يعنى نسخ أساس الشريعة، بل هو على حد النسخ الذي يكون في أحكام الشريعة الواحدة. كما تنسخ آية في القرآن آية قرآنية أخرى.

فهذا كله لا يعنى: أننا أمام شرايع مختلفة، كما أنه لا يعنى رفعه مقام النبي اللاحق في أولى العزم أو غيرهم، على مقام النبي السابق. و قد ذكرنا إبراهيم كمثال ناقض لذلك التصور الخاطيء.

إننا لا نمنع من أن يستفيد اللاحقون من تجربته السابقين.

ولا- أن يسهم السابقون في تنمية قابليات و استعدادات من يأتي بعدهم. و لكن هذا لا- يعنى: أن يكون طريق الوصول إلى أعلى المراتب قد كان موصدا أمام السابقين، فإن طريق الوصول لله مفتوح أمام الجميع، و إذا كان ثمة من تفاوت أو اختلاف في الوصول، فيعود إلى الإنسان نفسه.

ليس لله على الكافر نعمة؟!

و من الأمور المثيرة للعجب أن نجد بعض المفسرين يدعى:

أنه ليس لله سبحانه على الكافر نعمة، و استدل على ذلك بقوله تعالى: **(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)**. حيث خصت الآية النعمة بالمؤمنين، إذ لو شملت الكافرين لكان معنى ذلك هو أننا نطلب هنا الهداية إلى صراط الكافرين أيضا، لأنهم ممن أنعم الله عليهم حسب المدعى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٨

و هذا الكلام و إن كان باطلا، لا يستحق الالتفات إليه،

لكننا مع ذلك نقول:

إن هذا القائل ليس فقط لم يقرأ القرآن، فإنه أيضا لم يقرأ بقية نفس هذه الآية: و هو قوله تعالى: **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** و لم يقرأ أيضا قوله تعالى: **وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** «١٥٠».

وقوله: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ، وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ «١٥١». يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا، وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ «١٥٢».

وقال تعالى: أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ يُؤْتَاهُ اللَّهُ حَسْرَتًا لِمَن يَكْفُرْ «١٥٣».

وقال سبحانه: أَلَيْسَ لِلَّهِ الْخَلْقُ كُلُّهُ أَلْفَافًا «١٥٤».

(١٥٠) سورة البقرة، الآية ٢١١.

(١٥١) سورة البقرة، الآية ٤٠.

(١٥٢) سورة النحل، الآية ٨٣.

(١٥٣) سورة النحل، الآية ٧٢.

(١٥٤) سورة النحل، الآية ٧١.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨٩

وقال: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا نَحْنُ نَكْفُرُ «١٥٥».

إذن، هناك قسمان من الذين أنعم الله عليهم: أحدهما لم يبدل نعمة الله كفرا، و لم يغضب الله عليه، و لم يضل الخ .. و هم الذين تطلب الهداية إلى صراطهم.

و الآخر: بدل و غير، و غضب الله عليه و الخ .. فنحن نحترس منهم و نستثيهم.

إعراب غير المغضوب:

إشارة

إذا قلنا: إن كلمة غير المغضوب بدل من كلمة: الذين أنعمت عليهم، فإن المقصود هو إضافة الصراط إلى البدل نفسه أى: صراط غير المغضوب الخ .. و يكون غير المغضوب عليهم هم نفس الذين أنعم الله عليهم.

و أما إذا قلنا: إن كلمة: غير المغضوب صفة للذين. فيرد سؤال: كيف يصح وصف المعرفة بكلمة غير، التي هي متوغلة في الإبهام. و لا تتعرف بالإضافة، و هم يقولون: لا يصح وصف المعرفة بالنكرة.

(١٥٥) سورة إبراهيم، الآية ٢٨.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٠

و نقول فى الجواب:

أولاً: إن كلمة غير قد يوصف بها المعرفة أيضاً، و ذلك إذا وقعت بين متقابلين، مثل: الحركة غير السكون، حيث إن التقابل بين السابق و اللاحق يقربها من المعرفة، لإتصاح معناها بواسطة الطرف الآخر الذى وقعت وصفا له .. و ما نحن فيه من هذا القبيل، لوقوعها بين من أنعم عليهم، و بين المغضوب عليهم. فصح وصف المعرفة بها هنا أيضا لأجل ذلك.

و ثانياً: كلمة الذين ليست من قبيل المعرف بالعلمية، لأنها إنما تعرفت بواسطة الصلة، و هذا التعريف لا يصل إلى درجة سائر المعارف من حيث درجة التحديد، بل يبقى لكلمة (الَّذِينَ) عموم وسعة. فكلمة الذين شبيهة ب (ال) الجنسية أو الحقيقية التي تدخل على كلمة

(رجل). و (بعير) فتقول: الرجل.

و البعير. و الكريم. فإنها لا تصل إلى درجة التحديد و التعريف بالعلمية.

إذن، فيصح وصف كلمة الذين التي عرّفت بالصلة بكلمة: غير المغضوب عليهم. و إن كانت متوغلة في الإبهام، لأنها قد تضيقت بالمضاف إليه كما تضيقت كلمة الذين بصلتها.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩١

لماذا المغضوب:

أما السؤال: من هم الذين صدر منهم الغضب على أولئك الناس، فجوابه:

١- أننا لا نجد ضرورة لاعتبار فاعل الغضب على أولئك المجرمين هو خصوص الذات الإلهية المقدسة، إذ أن كل من له ذرة من الوجدان، و العقل و الضمير لا بد أن يغضب على المجرمين و المنحرفين. فليكن غضب كل هؤلاء أيضا بالإضافة إلى غضبه تعالى مقصودا في هذه الآية. و لأجل ذلك لم يعين سبحانه فاعل الغضب، بل جاء باسم المفعول: الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ و الله تعالى يريد منا أن نغضب من الإنحراف و أن نشعر بأننا معينين بسلامة الحياة الإنسانية، و أن نترجم هذا الشعور غضبا و نفورا ممن يعيب و يهدد السلامة.

أليس الله و ملائكته، و المؤمنون، و كل الشرفاء، و العقلاء، و أصحاب الضمير الحي معينين بمكافحة من سب الله و رسوله، و سب عليا، و فاطمة، و الحسنين، و الأئمة على منابر، و ابتزهم حقهم؟! ألسنا جميعا معينين بمكافحة من احتل أرضنا و عاث فيها فسادا، و أهان و عبث بمقدساتنا، و استحل دماءنا، و أعراضنا، و أموالنا، و أوطاننا؟!!

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٢

إذن، فالله قد أبهم فاعل الغضب و لم يصرح به، ليفيد المشمول و العموم لكل من يغضب للحق. و ينفر من فعل الباطل.

٢- ثم إنه تعالى قد عبر عن هذا الغضب بصيغة اسم المفعول، و لم يستعمل صيغة الفعل، حيث لم يقل: الذين غضب عليهم. لأن صيغة الفعل تفيد التصرم و الزوال، و هو تعالى إنما يريد أن يقرر فعليه الغضب، و الدوام و الثبات و الاستمرار فإن هذا أشد من الزجر، و أدعى للإنزجار.

٣- و إنما عبر بالمغضوب، مشيرا بذلك إلى الغضب من أجل أن يعرفنا الداعي و السبب لسلب النعمة، و هو إجرامهم المقتضى للغضب، ثم للعقوبة و الجزاء.

من هم المغضوب عليهم و الضالون:

و قد ورد في الروايات، و ذهب إليه عدد من المفسرين: أن المقصود ب (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ): اليهود. و المقصود ب (الضالين): النصارى.

و الظاهر: أن هذا من باب الانطباق، حيث إن اليهود و النصارى من مصاديق المغضوب عليهم، و من مصاديق الضالين. و الآية عامة صالحة للانطباق عليهم و على غيرهم ممن يعمل عملهم. و في الآيات القرآنية ما يدل على انطباق (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) على غير اليهود، و انطباق الضالين على غير النصارى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٣

فأما بالنسبة لعنوان المغضوب عليهم، فنقرأ الآيات التالية:

وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ «١٥٦».

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ «١٥٧».

و خاطب سبحانه أهل الكتاب بقوله: وَ بَأْوِ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ «١٥٨».

و بالنسبة للضلال، فقد قال تعالى: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ، وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ، وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا «١٥٩».

وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ: إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ «١٦٠».

وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا «١٦١».

(١٥٦) سورة النور الآية ٩.

(١٥٧) سورة المجادلة الآية ١٤.

(١٥٨) سورة آل عمران الآية ١١٢.

(١٥٩) سورة النساء الآية ١٣٦.

(١٦٠) سورة النمل الآية ٩٢.

(١٦١) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٤

و هناك آيات كثيرة أخرى.

فترى: أن الآيات الكريمة إما ناظرة إلى المؤمنين، كآلية الأخيرة، وإما ناظرة إلى العصاة و المنحرفين بغض النظر عن الديانة التي ينتمون إليها ...

التوضيح و التطبيق:

و لتوضيح ما سبق نقول:

إنه تعالى قد ذكر صفتين، قد تتوافقان، و قد تختلفان أى أن النسبة بينهما يكون هي العموم و الخصوص من وجه، كالطير و الأسود، حيث يتوافقان في الغراب، الذي هو طير و أسود، و قد لا يكون الأسود طيرا، بل يكون ثوبا مثلا. و الطير قد يكون حماما أيضا. فكل من الطير و الأسود أعم من الآخر، و أخص منه من وجه.

و المغضوب عليهم و الضالون أيضا كذلك، فقد يكون الإنسان ضالا في عقيدته، و أفكاره. و مجرما في سلوكه و أفعاله، و إجرامه يثير الغضب، فيبادر الغاضب إلى مجازاته. و قد يكون ضالا لكنه ليس بمجرم، فلا يثير غضبا و لا يستحق التأديب و الجزاء المناسب. و قد يكون مجرما، لكنه ليس بضال.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٥

فهناك إذن صفتان في مقابل المنعم عليهم، قد توجدان في واحد من الناس أو أكثر. و قد توجد إحداهما في بعض الناس، و توجد الأخرى في بعض آخر.

و لا بأس بأن نطبق إحدى الصفتين على اليهود و الذين اجرموا إجراما ظاهرا، فقتلوا الأنبياء، و أفسدوا في الأرض. فغضب الله عليهم لأجل ذلك.

و على النصارى الذين ضلوا و أضلوا الناس. فكان إجرامهم خفيا و ذكيا.

مع العلم بأن اليهود أيضا مصداق للشق الثانى، فإنهم أيضا ضالون و مضلون. و النصارى أيضا حين يقتلون الأبرياء و يشنون حروبهم

الصليبية على الحق و الدين، و يناصرون اليهود الغاصبين هم أيضا مجرمون مغضوب عليهم لإجرامهم، و لا بد من مجازاتهم على هذا الإجماع. فالآية لا تخص اليهود بوصف المغضوب عليهم، و لا تخص النصارى بوصف الضالين. بل هى عامه تشمل حتى الملحدين، بل و المسلم إذا أجرم، فاستحق العقاب، و كذا إذا ضل و أضل.
فمن أغضب فاطمة عليها السلام يدخل فى المغضوب عليهم لقوله (ص): من أغضبها فقد أغضبني، و ذلك ظاهر لا يحتاج إلى مزيد بيان.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٦

تناقض يسىء إلى المعنى:

و الغريب فى الأمر هنا: أننا نجد نفس أولئك الذين فسروا الآية باليهود و النصارى قد ناقضوا أنفسهم حين أضافوا إلى ذلك قولهم: إن المغضوب عليهم هم قوم عرفوا الحق ثم عاندوه. و هم الذين وصفهم الله تعالى بأنهم قوم غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ «١٦٢». أما الضالون فهم: قوم ما عرفوا الحق، و قصرُوا فى طلبه، فضلوا. و هم الذين وصفهم الله بأنهم قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ، وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا، وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ «١٦٣». و هذا كلام عجيب، قد لا يخطر حتى على بال النصارى أنفسهم فى صياغة البراءة لأنفسهم، إذ أنه يعنى: أن يكون النصارى معذورا فى ضلاله، و يكاد يكون هذا تبريرا لانحرافهم، حيث إن ضلالهم كان نتيجة تقصير، فلا يرقى إلى درجة الجريمة الفاحشة. و معنى ذلك: أنه تعالى قد انتقل من الحديث عن أمر عظيم الخطورة، قد وصف به اليهود، و هو كونهم من المغضوب عليهم إلى أمر سهل و بسيط، و هو ضلال قوم بسبب تقصير منهم. لا بسبب التعمد لغير الحق!!

(١٦٢) سورة المجادلة. الآية ١٤.

(١٦٣) سورة المائدة الآية ٧٧.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٧

و نقول:

إن الحقيقة قد تكون عكس ذلك، أى قد تكون جريمة النصارى أعظم و أخطر من جريمة اليهود، إذا عرفنا: أن النصارى أيضا قد رأوا الحق و أعرضوا عنه، و عاندوه. ثم قاموا بدور الإضلال للناس بصورة ذكية و خفية. أما اليهود، فإنهم قد ضلوا عن الحق، و هم يعرفون. ثم ارتكبوا الجرائم و الموبقات. فهم ضالون و مجرمون. فلا بد من الحذر مرة من ضلالهم الظاهر، و من إجرامهم المفضوح، أما النصارى فلا بد من الحذر منهم ألف مرة، لأنهم ينساقون وراء أهوائهم، و يعملون على إضلال الناس بصورة ذكية و ماهرة. و قد نجحوا فى ذلك، قال تعالى: لا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ، وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا، وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ «١٦٤». فهم إذن يعرفون الحق، و لكنهم يتبعون أهواءهم، و يضلون الناس أيضا. و ليست القضية مجرد ضلال ناشئ عن تقصير، قد لا يكون له هذا المستوى من الخطورة و القبح.

(١٦٤) سورة الأعراف. الآية ١٥٧.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٨

و لا الضالين:

و إنما قال تعالى: وَ لَا الضَّالِّينَ بإضافة كلمة (لَا) و لم يقل:

و الضالين، أو: و غير الضالين، لسببين:

الأول: إن كلمة (لَا) صريحة في نفي ما بعدها، أما كلمة غير فإنما تنفيه بصورة نفي اللازم.

الثاني: إنه تعالى لا- يريد أن يكون المجموع المركب من المغضوب عليهم و الضالين هو مدخول غير، ليكونوا فريقا واحدا مقابل الذين أنعم الله عليهم.

بل يريد أن يستثنى الفريقين أي: (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) و (الضَّالِّينَ). لا بشرط. حيث إنه يريد مقابلة الذين أنعم الله عليهم بالمغضوب عليهم تارة، و بالضالين أخرى، و بالمجموع المركب منهما تالئة.

و هذا إنما يتسنى في ظل كلمة (لَا) دون كلمة غير التي قد توهم المعنى الآخر.

إمامة أبي بكر في سورة الفاتحة:

و يحاول البعض أن يجعل من قوله تعالى: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، دليلا على إمامة أبي بكر، لأن المقصود بالذين

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٩٩

أنعم الله عليهم هم المذكورون في قوله تعالى: فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ «١٦٥».

باعتبار أن أبا بكر هو رأس الصديقين: و قد أمرنا الله أن نطلب الهداية إلى صراط أبي بكر الصديق.

و نقول:

لنفترض: أن الآية تدل على إمامة الصديقين، فهل تدل على إمامة الصالحين، و الشهداء أيضا ..

٢- قد ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) «١٦٦» عدم صحه ما يستندون إليه في تسمية أبي بكر بالصدیق، لتناقض الروايات في سبب هذه التسمية، و قلنا هناك: إن الظاهر هو أن هذا اللقب قد أطلق على أبي بكر بعد وفاته. و لهذا لم يستدل به هو و لا أحد من مؤيديه في يوم السقيفة على استحقاقه الخلافة مع حاجتهم الملحة لاستدلال كهذا، و لا عطر بعد عروس.

(١٦٥) سورة النساء. الآية ٦٩.

(١٦٦) الصحيح من سيرة النبي ج ٤ ص ٤٤-٥٢.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٠

٣- هناك روايات كثيرة صحيحة السند، مروية في عشرات المصادر الإسلامية المتنوعة تنص على أن الصديق الأكبر هو على عليه السلام، سماه بذلك رسول الله «١٦٧» (ص).

و روى عن النبي (ص) أيضا: أنه قال: الصديقون ثلاثة:

حزقيل مؤمن آل فرعون، و حبيب النجار، صاحب آل ياسين.

و على بن أبي طالب. الثالث أفضلهم. «١٦٨»

و قال على عليه السلام على منبر البصرة: أنا الصديق الأكبر. آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، و أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. «١٦٩».

و عنه عليه السلام؛ بسند صحيح على شرط الشيخين: أنا عبد الله، و أخو رسوله، و أنا الصديق الأكبر الخ ... «١٧٠»

- (١٦٧) راجع: الغدير. ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ عن شمس الأخبار للقرشي.
- (١٦٨) راجع مصادر هذا الحديث فى الصحيح من سيرة النبى الأعظم ج ٤ ص ٤٦ / ٤٧.
- (١٦٩) راجع مصادر هذا الحديث فى الصحيح من سيرة النبى الأعظم ج ٤ ص ٤٧ / ٤٨.
- (١٧٠) راجع: الصحيح من سيرة النبى الأعظم. ج ٤ ص ٤٥ / ٤٦.
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠١
- و عن النبى (ص): أنه قال لعلى: أنت الصديق الأكبر، و أنت الفاروق الخ ... «١٧١»
- و الروايات فى ذلك كثيرة، فلترجع فى مظانها ... «١٧٢»

- (١٧١) الصحيح من سيرة النبى (ص). ج ٤ ص ٤٨.
- (١٧٢) الصحيح من سيرة النبى (ص). ج ٤ ص ٤٥ - ٤٩.
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٣

كلمة أخيرة:

و أخيرا ...

فإننا إلى هنا نكون قد أنهينا الحديث عن بعض اللمحات و الإشارات التى وفق الله لاستفادتها من سورة الفاتحة بصورة أو بأخرى. و قد كانت - بحق - فرصة للقيام بسياحة مباركة و رائعة فى رحاب هذا القرآن العظيم، عادت علينا بفوائد و عوائد جليئة و غالية، أين منها فرائد اللآلى، و الدرر الغوالى.

نقول هذا، على الرغم من أننا لم نوغل فى اللامتاهى من آفاق هذا القرآن، و لا حاولنا أستكناه ما يطويه فى أغوار أعماقه؛ لإدراكنا أننا - و نحن نقف مبهورين على شواطئ بحاره الغامرة - أعجز من أن ننال سوى القطرة أو القطرات، كما أننا حين نستشرف آفاقه، فلن نستطيع أن نقتحم رحابها إلا فى حدود تهاويم و سبحات، و سوانح و خطرات.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٤

و حين وضح ضعفنا، و ظهر عجزنا، و أننا لا نملك أن نجىء إلا ببضاعة مزجاء، أدركنا بعمق: أن علينا أن نعود للوقوف على أبواب الراسخين فى العلم، و هم أهل بيت العصمة، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. ناديتهم بصدق. و نناجيتهم بوله و صفاء

بأننا قد مسنا و جميع محبيهم الضر فليوفوا لنا الكيل، و ليتصدقوا علينا، فالله يحب المتصدقين.

فإننا - و الله - نحن العطاشى إلى النير الزلال من علمهم، و المحتاجون إلى الصادق من هديهم، و الوالهون إلى صفى محبتهم و مودتهم.

نسأل الله سبحانه أن يؤهلنا لنيل هذا الشرف، و أن يكرمنا بدرجات الزلفى و القرب، إنه ولى قدير، و بالإجابة حرى و جدير.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٥

المصادر و المراجع

- ألف - القرآن الكريم.

الاحتجاج، للشيخ الطبرسى، ط سنة ١٤١٣ هـ. ق. - قم - إيران.

- إحقاق الحق (قسم الملحقات) للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي - ط قم - إيران.
- الاستبصار، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي - ط سنة ١٣٧٦ هـ. ق- النجف الأشرف - العراق.
- إعلام الدين في صفات المؤمنين - للحسن الديلمي - ط سنة ١٤٠٨ هـ. ق مؤسسة آل البيت. قم - إيران.
- الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله - ط الحيدرية - النجف الأشرف. العراق.
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٦
- الأمالي للشيخ محمد بن الحسن الطوسي ط سنة ١٤٠١ هـ ق.
- مؤسسة الوفاء - لبنان.
- ب- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي - ط سنة ١٤٠٣ هـ ق.
- مؤسسة الوفاء. بيروت - لبنان.
- البرهان في تفسير القرآن - للبحراني - ط آفتاب - طهران - إيران. و المطبعة العلمية سنة ١٣٩٣ هـ ق. - إيران.
- ت- تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي بن أبي طالب - بتحقيق المحمودي) ط - بيروت - لبنان.
- الترايب الإدارية - للكنتاني - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- تفسير العسكري - ط سنة ١٤٠٩ هـ ق. مطبعة مهر - قم - إيران.
- تفسير العياشي - ط المكتبة العلمية الإسلامية - قم - إيران.
- تفسير القمي - لعلي بن إبراهيم بن هاشم. ط سنة ١٣٨٧ هـ ق. بيروت. لبنان.
- التفسير الكبير - للرازي - منشورات دار الكتب العلمية - طهران - إيران.
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٧
- تهذيب الأحكام - للشيخ محمد بن الحسن الطوسي - ط سنة ١٣٩٠ - قم - إيران.
- ج- جامع الأخبار و الآثار - للأبطحي.
- د- دعائم الإسلام - للقاضي النعمان - ط سنة ١٣٨٣ هـ ق.
- دار المعارف بمصر.
- س- سنن ابن ماجه - ط سنة ١٣٧٣ هـ ق.
- ص- الصحيح من سيرة النبي الأعظم - جعفر مرتضى العاملي - ط سنة ١٤١٥ هـ. ق. دار الهادي - و دار السيرة - بيروت - لبنان.
- الصحيفة السجادية - منسوبة للإمام زين العابدين عليه السلام.
- ع- علل الشرائع - للشيخ الصدوق - ط سنة ١٣٨٥ هـ. ق.
- النجف الأشرف - العراق.
- غ- الغدير - للعلامة الأميني - ط سنة ١٣٩٧ هـ ق. دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٨
- غرائب القرآن - للنيسابوري (مطبوع بهامش جامع البيان) سنة ١٣١٢ - هـ. ق.
- ق- قرب الإسناد - لعبد الله بن جعفر الحميري - إصدار مكتبة نينوى الحديثية - طهران - إيران.
- ك- الكافي - للكليبي - ط سنة ١٣٧٧ هـ. ق. الحيدرية - طهران - إيران.
- كشف الغمة - للإربلي - المطبعة العلمية سنة ١٣٨١ هـ. ق. - قم - إيران.

- الكنى و الألقاب- للشيخ عباس القمي- ط الحيدرية سنة ١٣٨٩- ه. ق. النجف الأشرف- العراق.
- ل- اللهوف في قتلى الطفوف- للسيد ابن طاووس- منشورات مكتبة الداوري- قم- إيران.
- م- مجمع البيان- للطبرسي- ط سنة ١٣٧٩ ه. ق. دار إحياء التراث العربي. بيروت- لبنان.
- مستدرک سفینه البحار- للشيخ علي نمازي الشاهرودي- ط مؤسسه البعثه- طهران- إيران.
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٠٩
- المستدرک علی الصحيحين- للحاكم النيسابوري ط سنة ١٣٤٢ ه. ق. الهند.
- مستدرک الوسائل- للشيخ حسين النوي- ط مؤسسه آل البيت سنة ١٤٠٧ ه. ق. قم- إيران.
- المسند لحمد بن حنبل- ط سنة ١٣١٣ ه. ق.- مصر. ثم نشر دار صادر- بيروت- لبنان.
- معاني الأخبار- للشيخ الصدوق. نشر دار المعرفة- سنة ١٣٩٩ ه- ق. بيروت- لبنان.
- مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- لابن أبي الدنيا- مطبوع ضمن مجله تراثنا، الصادر عن مؤسسه آل البيت- قم- إيران.
- سنة ٣ عدد ٣.
- مقتل الحسين- للسيد عبد الرزاق المقرم- ط سنة ١٣٧٢ ه. ق. مطبعة الآداب- النجف الأشرف.- العراق.
- مناقب آل أبي طالب- لابن شهر آشوب- ط دار الأضواء سنة ١٤١٢ ه. ق.
- ن- نفس المهموم- للشيخ عباس القمي- دار المحججه البيضاء- سنة ١٤١٢ ه. ق. بيروت- لبنان.
- نهج البلاغه (جمع الشريف الرضي) بشرح عبده- ط الاستقامة.
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٠
- نور الثقلين- لابن جمعه الحويزي- مطبعة الحكمة- قم- إيران.
- و- وسائل الشيعة- ط مؤسسه آل البيت سنة ١٤١٢ ه. ق.
- قم- إيران.
- ي- ينايع المودة- للقندوزي الحنفي- ط سنة ١٣٠١ ه. ق.
- إسلامبول- تركيا.
- الكشاف- للزمخشري- نشر دار المعرفة- بيروت- لبنان
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١١

محتويات الكتاب

مقدمة الناشر ٧

تقديم ٩

تمهيد ١٣

إلفات نظر لا بد منه ١٩

على (ع) و تفسير سورة الفاتحة و البسملة ٢٠

مناوتوا على عليه السلام، و حساده ٢٤

تفسير قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ٢٧ بداية و تمهيد ٢٩

البدء باسم الله ٣٠

- النقص فى البداية و فى النهاية ٣٢
 الباء للاستعانة أم للملابسة ٣٥
 لماذا التركيز على الاسم ٣٦
 الأسماء الحسنى وسيلة الدعاء ٣٨
 تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٢
 الأصنام عند العرب ٤١
 الرحمن الرحيم ٤٢
 - تحديد معنى الرحمن الرحيم ٤٣
 - سبب اختيار هاتين الصفتين ٤٨
 - كلمة الرحمن علم أم صفة؟ ٥٠
 تفسير قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين ٥٢ الحمد لله ٥٥
 - اختصاص الحمد بالله سبحانه ٥٦
 - الحمد و الرحمة بداية و نهاية ٥٨
 - له الحمد فى الأولى و الآخرة ٦٠
 - لماذا لم يقل: الحمد لرب العالمين ٦٤
 - لماذا الحمد؟! ٦٥
 - لغة القرآن فى التربية العقائدية ٦٥
 - التسييح بحمد الله تعالى ٦٨
 - لماذا تسييحة كبيرة ٧٣
 شمولية كلمة الرب ٧٥
 العالمين ٧٥
 - ما المقصود بالعالمين ٧٦
 - أولا: التربية للعالمين ٧٦
 تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٣
 الأول: سجود المخلوقات و تسييحها ليس تكوينيا ٧٨
 الثانى: تكامل الشعور و الإدراك و مستواه ٨٠
 - ثانيا العالمون خاص بالبشر ٨١
 - استدلال لا يصح ٨٢
 - ربي أم رب العالمين ٨٣
 - الكون المتوازن ٨٤
 - الألوهية و الربوبية ٨٦
 - نتائج ثلاثة ٨٨
 تفسير قوله تعالى الرحمن الرحيم ٩١ الرحمن الرحيم: مرة أخرى ٩٣

- النقص حقيقى و أساسى ٩٤
- ثبات و استمرار الرحمة ٩٥
- دوافع التربية و الرعاية ٩٥
- تفسير قوله تعالى: مالك يوم الدين ٩٧ المعاد مشكلة حقيقية للمشاركين ٩٩
- أى أنواع المالكيات لله تعالى ١٠٦
- يوم الدين ١١٠
- مالكية الله سبحانه للدنيا ١١١
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٤
- الدين هو الجزاء ١١٢
- مالك أو ملك ١١٤
- الخلود فى العذاب و العدل ١١٥
- تفسير قوله تعالى: إياك نعبد و إياك نستعين ١١٧ بداية ١١٩
- إياك نعبد ١٢٠
- تقديم كلمة: إياك ١٢٢
- نعبد و نستعين بصيغة الجمع ١٢٤
- مراتب العبادة ١٢٨
- ما المراد بالعبادة ١٢٩
- تنوع المستحبات و كثرتها ١٣١
- و إياك نستعين ١٣٣
- الوعى يقتضى الاستعانة ١٣٣
- التوحيد فى العبادة و الاستعانة ١٣٣
- جبر أم اختيار؟ ١٣٤
- الاستعانة: و العجب و الرياء ١٣٤
- الاستعانة بغير الله سبحانه ١٣٥
- الاستعانة بالله و الجبر الإلهى ١٣٩
- تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٥
- تفسير قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم ١٤٣ اهدنا الصراط المستقيم ١٤٥
- ارتباط الآية بما قبلها ١٤٥
- الطلب الجازم ١٤٨
- الإسلام لا يغنى عن طلب الهداية ١٤٨
- أنواع الهداية و أقسامها ١٥٤
- الهداية و الجبر الإلهى ١٥٨
- اهدنا الصراط أو إلى الصراط ١٥٩

- مناقشة وردھا ١٦٠

الصراط المستقيم ١٦١

- (آل) في الصراط للجنس أم للعهد ١٦٤

- وصف الصراط بالمستقيم، لماذا؟ ١٦٥

تفسير قوله تعالى: صراط الذين أنعمت عليهم ١٦٩ نسبة الصراط إلى غير الله - ١٧١

النعمة و النعمة ١٧٦

من هم الذين أنعم الله عليهم ١٨١

شمول الآية للنبي (ص) و الأئمة (ع) ١٨٢

نحن و السابقون ١٨٤

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٦

ليس لله على الكافر نعمة ١٨٧

إعراب: غير المغضوب ١٨٩

لماذا المغضوب؟! ١٨٩

من هم المغضوب عليهم، و الضالون ١٩٢

- التوضيح و التطبيق ١٩٤

- تناقض يسىء إلى المعنى ١٩٦

ولا الضالين ١٩٨

إمامه أبي بكر في سورة الفاتحة ١٩٨

كلمة أخيرة ٢٠٣ المصادر و المراجع ٢٠٥

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٧

يعلن المركز الاسلامى للدراسات عن وضع مكتبته فى خدمة الباحثين الكرام. كما انه أعد لهم مكانا خاصا للكتابة و المطالعة.

فللراغبين بالاستفادة من المكتبة زيارة مركزنا حيث سنقوم بخدمته.

المركز الاسلامى للدراسات بيروت. لبنان. بئر العبد. سنتر الإنماء (٢)

تلفون. فاكس: ٢٧٤٥١٩ (١) (٠٠٩٦١)

ص ب ٥٢ / ٢٥

الانترنت: WWW.alhadi.org

البريد الالكترونى: alhadi I alhadi.org

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢١٩

يعلن المركز الاسلامى للدراسات

الى القراء الاعزاء عن إفتتاحه قريبا موقعه على شبكة الانترنت، و هو يضع بين يدى المهتمين مادة علمية فى مختلف الشؤون الفكرية و

الثقافية الاسلامية. تفسير سورة الفاتحة ٢١٩

كما انه مستعد لتلقى استلتكم و الاجابة عليها فى مختلف العلوم و الشؤون الاسلامية.

المركز الاسلامى للدراسات بيروت. لبنان. بئر العبد. سنتر الإنماء (٢)

تلفون. فاكس: ٢٧٤٥١٩ (١) (٠٠٩٦١)

ص ب ٥٢ / ٢٥

الانترنت: WWW.alhadi.org

البريد الإلكتروني: alhadi I alhadi.org

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٢٢١

إصدارات المركز الإسلامي للدراسات موقف على عليه السلام في الحديبية (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

لست بفوق أن أخطئ (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

منطلقات البحث العلمي (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

سنابل المجد (قصيدة) (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

تفسير سورة الفاتحة (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

تفسير سورة الماعون (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

تفسير سورة الكوثر (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

تفسير سورة الناس. (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي)

عبس و تولى فيمن نزلت؟ (الشيخ رضوان شرارة)

الشورى و البيعة. (الشيخ مصطفى قصير)

الأعياد الإسلامية (الشيخ مصطفى قصير)

قانا الجليل. (الشيخ حاتم اسماعيل)

صلب المسيح عليه السلام فى الإنجيل (الشيخ حاتم اسماعيل)

الحسين و عاشوراء فى الكافى. (السيد حسين صولى)

المرأة المسلمة و متطلبات التنمية و البناء (خديجة عبد الهادى الحميد)

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحدًا من جهايزة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التَحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّة، تخليف المطالب النَّافِعَة - مكانَ البَلاتِيَّةِ المبتدلة أو الرَّدِيئَة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضِيَّة واسعة جامعَة ثقافيَّة على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السَّلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلاب، توسعة ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هُوَءَ برامج العلوم الإسلاميَّة، إناله منابع اللزامة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعه، و...
- منها العدالة الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعدهً، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميَّة و الإيرانيَّة - في أنحاء العالم - من جهه أُخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرُّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدَّة مواقع أُخر

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كَشِك، و الرُّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع "بنج رَمضان" و "مفترق" و فائي" / "بنايه" القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريَّة الشمسيَّة (=١٤٢٧ الهجريَّة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحاليَّة لهذا المركز، شعبيَّة، تبرعيَّة، غير حكوميَّة، و غير ربحيَّة، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجَم

المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

